الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

العنوان:

الأخلاق الجمالية عند جورج سانتيانا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة
شناف نهى

إشراف الدكتور
معليبي عيسى

السنة الجامعية:2019/2018

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي أنار درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب، ووفقني على إنجاز هذا العمل أما بعد، اعترافا مني لأهل الفضل بعد الله عز وجل أتوجه بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور" معيلبي عيسى" لحرصه ومتابعته لكل تفاصيل الموضوع منذ بدايته إلى غاية صورته النهائية، لك مني كل عبارات الثناء والتقدير كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل وكذلك جزيل الشكر لكل أساتذة قسم الفلسفة، فجزا الله الجميع كل الخير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الإهداء

بسم الله والحمد والشكر لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات الحمد لله الذي بتوفيقه وتسهيل منه جل في علاه أكملت مسيرتي العلمية، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله وعلى أله وصحبه أجمعين، اللهم إني أسألك علما نافعا ورزقا طيبا، وعقلا راشدا وعملا متقبلا ورزقا حلال طيبا، بأصدق المشاعر والكلمات الطيبة النابعة من القلب أقدم شكري وامتناني إلى أملي في الحياة وقرة عيني وسر نجاحي في استكمال مسيرتي في الحياة أمي الغالية أدامها الله وأطال في عمرها، لك كل الاحترام والتقدير يا نبع العطاء كافحت وناضلت من أجل سعادتي وتذوقت ألوان الشقاء في تربيتي وقد زرعتي بذورا وها أنت تجني ثمار جيل طيب فيه الخير والعطاء بإذن الله، وإلى روحي وقلبي والدي الذي طالما أردت أن أكحل عيني برؤيته وهو فرح بوصولي إلى هذه المرحلة، رحمه الله وأنار قبره كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى زوجي الفاضل الذي ساندني وقدم لي التشجيع والمساعدة وتحمل معي صعاب إنجاز هذا العمل بصبر لا ينفذ، فمهما تقدمت لك بجزيل الشكر لن أوفيك حقك وإن جف حبري عن التعبير يكتبك القلب بكل محبة واعتزاز، كما أشكر كل إخوتي وأصدقائي جميعا الذين شاركوني فرحتي بالفعل أو بالكلمة الحلوة.

مقدمة

مقدمة:

شهدت الفلسفة الغربية المعاصرة في القرن العشرين اهتماما كبيرا للحقل الجمالي والأخلاقي ، ذلك لأنهما حقلان يمثلان علاقة الإنسان بالواقع فمن أبرز سمات الفكر الفلسفي المعاصر أنه ركز على الوعي الإنساني ، فشكل الاهتمام بالجمال والأخلاق أهم نظريات التفكير الإنساني ، فالاهتمام بالقيمة الجمالية هو من أقدم اهتمامات الإنسان منذ العصور القديمة أي مع بداية التاريخ، والإحساس بالجمال عند الإنسان هو عملية مركبة من الحياة الاجتماعية والممارسات العملية، فالجمال يمثل البنية الأساسية التي تقوم عليها الحضارات وهذا ما خلق صلة بين الجمال و الاهتمامات الإنسانية الأخرى ، فهو يأخذ فعاليته وأهميته من الجوانب المرتبطة بمختلف مظاهر الحياة الإنسانية و لاسيما الأخلاق لأنها تتعلق بالسلوكيات و أفعال الإنسان وتمثل جانبا أساسيا في القيم، كما أنها تهدف إلى إرشاد الإنسان إلى ما يجب أن يكون عليه ، فالأخلاق هي علم يضع معايير السلوك الصحيحة وسلوك الخير، ولذا نجد أن القيم الأخلاقية ليست ذاتية مرتبطة بالفرد فقط بل هي قيم نابعة من روح المجتمع وتاريخه وبالتالي لا يمكن فصلها عن المجتمع، وهذا ما خلق نوع من الصراع بين الجمال والأخلاق في تحديد العلاقة بينهما وصعوبة تغليب أحد الجانبين على الآخر وذلك لارتباطهما بالتعبير عن علاقة الإنسان بالواقع، وهذه العلاقة شغلت العديد من الفلاسفة والمفكرين، فتعددت الدراسات والنظريات حول هذا الموضوع العلائقي فاخترنا من بين هذه الدراسات : **دراسة الفيلسوف الأمريكي المعاصر جورج سانتيانا**، باعتباره أحد أهم كبار الفلاسفة في عصره ونظرا لتوسع فكره وتنوع ثقافته التي استخلصها من كثرة تنقلاته السفرية فكان من بين أهم الدراسات التي عالجها موضوع **الجمال والأخلاق** ، فقدم لنا باقة تمزج بين ثنائية الجمال والأخلاق أي بين الإحساس وطبيعة

الفكر الإنساني وبناء على ما تقدم نتوصل إلى طرح الإشكالية التالية: **هل للقيم الجمالية بعدا أخلاقي أم أنها بعيدة عن ذلك ؟.**

وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدت على المنهج التحليلي وذلك لتتناسق خطوات البحث مع محتويات موضوع هذا البحث، واتبعت خطة البحث التالية والتي تشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول الذي تحدث عن حياة ومؤلفات جورج سانتيانا حيث تتضمن حياة الفيلسوف من حيث النشأة والتعليم والتكوين ثم تطرقنا إلى فلسفة الجمال في أمريكا بصفة عامة وكيف كانت نظرته هو إلى الجمال بصفة خاصة، وكختام للفصل الأول تناولنا الأسس الفلسفية التي بنى عنها فلسفته.

ثم الفصل الثاني يحمل عنوان الأخلاق عند جورج سانتيانا وهو يعتبر محور البحث يتضمن مفهوم الأخلاق وكيفية تأسيسه أخلاق جمالية خيرية باعتبار أن الأخلاق تتضمن نفس القيم الجمالية ولهذا قام سانتيانا ببناء أخلاق جمالية، ثم تحدث عن الفن ودوره في الأخلاق فهو يدمج النشاط الفني في صميم الحياة العقلية، بمعنى العلاقة التي تجمع بين الفن والأخلاق، ثم تحدث عن الفن وعلاقته بالدين باعتبار أن الدين ينطوي على معتقدات وقوانين أخلاقية.

ثم الفصل الثالث يتحدث عن العلاقة بين الجمال والأخلاق من حيث هما مترابطان ومن حيث هما متعارضان، ليبين سانتيانا طبيعة العلاقة والتواصل بينهما، ثم انتقلنا إلى علاقة العمل الفني بالحياة الإنسانية، أي الترابط بين العمل الفني وطبيعة الحياة الإنسانية لكي ينتج قيمة جمالية، فالإنسان مرتبط بمجتمع يحمل عادات وتقاليد ليس بمعزل عنها، لهذا فهو يجمع أو يوفق بين ما هو داخلي (باطني) وبين ما هو (خارجي) من خلال عمله الفني (شعر، رسم، نحت، ...إلخ).

كما يرجع سبب اختباري للموضوع إلى أسباب ذاتية تتمثل في رغبة المساهمة الفكرية فيما يتعلق بإبراز العلاقة بين الجمال والأخلاق وذلك راجع لفضولي لمعرفة إذا كان للجمال أن يكون معبرا عن الأخلاق وما تحمله من فضائل أم أنه لا يمكن أن يعبر عن الأخلاق ويقتصر على المتعة والاستمتاع وإنشاد اللذائذ فقط. وأسباب موضوعية أهمية دراسة العلاقة بين الجمال والأخلاق في مجال القيم بصفة خاصة، وذلك لأن القيم رغم اشتراكها إلا أنها ليست متطابقة في بعض الأحيان، أما عن اختيار سانتيانا موضوع لدراسة ذلك راجع لأهميته في الإسهام في مجالات فكرية عديدة خاصة مجال القيم، ومن الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذا البحث عدم توفر المصادر وإن وجدت فتكون باللغة الأجنبية وغير مترجمة للغة العربية، حيث تعسر لدي الإلمام بالمادة العلمية.

الفصل الأول: الخلفية المرجعية لجورج سانتيانا

- ✓ **المبحث الأول: حياته ومؤلفاته.**
- ✓ **المبحث الثاني: فلسفة الجمال في أمريكا (جورج سانتيانا نموذجا).**
- ✓ **المبحث الثالث: أسس فلسفة جورج سانتيانا.**

المبحث الأول: حياته ومؤلفاته.

ولد جورج سانتيانا من أبوين إسبانيين في مدريد بتاريخ:16 ديسمبر 1863، حيث لم يتخلى مطلقا عن جنسيته الإسبانية طوال حياته[1].

ولد وحيدا لوالديه، لكنه أخ لإخوة ثلاث من أمه، وهي اسبانية تزوجت زوجها الأول الأمريكي وأنجبت له هؤلاء الأطفال ووعدته قبل موته أن تنشئهم في أمريكا، فأخذتهم ومعهم ولدها الجديد من زوجها الثاني الإسباني إلى أمريكا[2].

ولهذا فإن مسقط رأس جورج سانتيانا هو إسبانيا ولكن ظروف عائلته أخذته إلى أمريكا حيث تربى وترعرع وتلقى تعليمه فيها.

فسانتيانا كان محبا لأمه وهذا ما جعله يذكرها بالكثير من الخير فيقول عنها أنها كانت من أسرة نبيلة، ذات مركز مرموق، فلا غرور أن تتطلع إلى الوصول إلى المراكز العليا في المجتمعات الأرستقراطية [3].

فهو كان متعاطفا مع والدته ويحبها كثيرا بالرغم من أنه عاش مع أبيه فترة من حياته لأن أمه رجعت مع بناتها إلى أمريكا التي اضطرت إلى تركها أولا بسبب الحرب الأهلية التي أثرت على وضعهم الاقتصادي مما جعلها ترجع إلى اسبانيا بعد أن عاشت ثلاثة سنوات ببوسطن وعند رجوعها تعرفت على والد سانتيانا المدعو دي أغسطين سانتيانا وتزوجت به وأنجبت منه ولدا واحدا وهو جورج سانتيانا، وبالرغم من زواجها الثاني إلا أنها كانت في شوق وحنين إلى بيتها في بوسطن ، بعد انتهاء الحرب الأهلية رجعت إلى أمريكا مع بناتها الثلاث وبقي جورج مع والده وهو في عمر الأربع سنوات.

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، ج1، 1984، ص581.

[2] زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط 4، 1993، ص152.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط، 1994، ص21.

حيث عاش سانتيانا في كنف أبيه يلقنه الأفكار السياسية وأحلامه في إقامة مجتمع مثالي، وأفكاره الدينية والمادية، حيث ترك الأب بصماته واضحة على أفكار ابنه خلال تلك الفترة، وبعدها سافر دي أغسطين وأخذ ابنه معه عام 1872 وهو يبلغ من العمر 09 سنوات إلى بوسطن حيث التم شمل الأسرة ورجع الأب إلى اسبانيا وترك جورج مع أمه وأخواته لينشأ معهم في أمريكا[1].

حيث تعلم اللغة الإنجليزية في التاسعة عندما لحق بوالدته، وعاش سانتيانا نيوانجلند (شرق أمريكا) طوال أربعين سنة بعد ذلك[2].

وانطلق سانتيانا في مشواره التعليمي وهو مزودا بالتأثيرات التي غرسها أبوه فيه، درس بمدارس بوسطن حتى التحاقه بجامعة هارفارد.

فدرس بكلية هارفارد وتخرج منها بتقدير ممتاز في سنة 1886 ، سافر بعد ذلك إلى ألمانيا فأقام بها عامين، عاد بعدها إلى هارفارد للحصول على الدكتوراه فحصل منها الدكتوراه في الفلسفة برسالة عن (رودلف لوتسه) وفي إثر ذلك عين في هيئة التدريس في هارفارد حيث كان يمثل هو و وليام جيمس وجوسيا رويس ثالوثا لامعا في الفلسفة بين الجامعات الأمريكية واستمر في هذا المنصب حتى سنة 1912[3] .

حيث درس في جامعة هارفارد أستاذا محاضرا لتسع سنوات ثم اتبعها بتسع أخرى أستاذا مساعدا، وعندما مات أستاذه رويس حصل سانتيانا على منصب أستاذ كرسي الفلسفة في الجامعة التي تركها نهائيا وبهذا أكمل 23 سنة في هارفارد قضى منها سنتين في أوروبا في كلية الملك في العام الجامعي 1897/96، درس خلالها فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو فازداد تعمقا لأفكارهما[4].

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص23.

[2] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ص581.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص30.

وهذا ما دفع سانتيانا إلى الخوض في أعماق الفلسفة منذ القدم ويدرس أفكار كبار الفلاسفة القدامى بعمق، ما جعله يقتنع بالعلم كعلم في حد ذاته وأن على كل شخص السعي بنفسه من أجل الوصول إلى طلب العلم أي يعلم نفسه بنفسه.

فكان سانتيانا محدثا للفلاسفة القدامى القائلين بالطبيعة الحية وهم الفلاسفة الذين كانوا يعتقدون أن الكون مادي كائن حي[1].

فسانتيانا هو فيلسوف وكاتب أمريكي من أنصار الواقعية، كان يعترف بالوجود الموضوعي للعالم المادي ويعتقد أن الجواهر وحدها هي التي يمكن إدراكها أي الصفات الواقعية[2].

فنجد أن سانتيانا رفض الميتافيزيقا القديمة المبنية على عالم خيالي وأراد بناء ميتافيزيقا جديدة قوامها الواقع، فهو يرى أن الواقعية المادية هي التي تمثل الحقيقة ولا توجد حقيقة غيرها.

وهو في الفلسفة واقعي، غير أنه التفت بالواقعية لفتة خاصة، هي التي أطلقنا عليها الفلسفة الطبيعية، فهو كسائر الواقعيين في عصره، يدير فكره حول نقطتين رئيسيتين هما: أن الأشياء التي هي موضوعات المعرفة الإنسانية موجودة وجودا خارجيا مستقلا عن تلك المعرفة، وأن تلك الأشياء الموجودة – موضوع المعرفة – لا يتحتم أن تكون كائنات عينية بل قد يكون وجودها مما اصطلحنا على تسميته بالوجود الضمني[3].

وهكذا قضى سانتيانا حياته كفيلسوفا واقعيا، وبنى منهجا خاصا به مختلف عن باقي المناهج الفلسفية المعتمدة في تدريس الفلسفة، فهو كان يرى أن دور الأستاذ هو تدريس تاريخ الفلسفة وليس الفلسفة في حد ذاتها، لأن تدريس الفلسفة ينتج عن طريق إثارته في المناقشة والحوار.

---

[1] سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2009، ص17.

[2] روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1981، ص250.

[3] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، ط3، بيروت 1987، ص202.

ومما يذكره سانتيانا عن نفسه أن علاقته بأمريكا انتهت نهاية درامية وشاعرية، فقد حدث أنه في يوم من أيام شهر يناير1912، كان يقف كعادته يلقي على طلابه دروسه فنظر من نافذة الحجرة واطال النظر وكان الطقس باردا ممطرا ثم استدار إليهم قائلا " إنني على موعد مع الربيع" ثم انطلق إلى خارج حجرة الدراسة ولم يعد إليها بعد ذلك أبدا وقدم استقالته وتسلم مستحقاته وذهب مزودا بحبه للفلسفة والأدب والخيال وكراهيته للحياة على النمط الأمريكي[1].

رحل جورج إلى لندن باحثا عن حرية الفكر والكتابة، حيث لا يقيد حريته شيء، وعند وصوله إلى لندن وصله خبر وفاة أمه في أمريكا، فأيقن حينها أنه لم يعد يوجد شيء يربطه بأمريكا أو يدعوه إلى العودة إليها، وهكذا انتهت حياة سانتيانا في أمريكا ودفن هناك المدرس، وأحيا في لندن سانتيانا الشاعر والناقد.

وعندما بلغ سانتيانا السادسة والسبعين من عمره التحق بدار لرعاية المسنين عام 1939، حيث قامت الراهبات برعايته[2].

ومكث في تلك الدار إلى أن التحق بالرفيق الأعلى بسبب صراع مع مرضى السرطان توفي في 02 سبتمبر 1953 قبيل بلوغه التاسعة والثمانين بأشهر قليلة في روما، ودفن في القسم المخصص للإسبان في مقبرة روما بناء على وصيته[3].

فكانت خلاصة حياة سانتيانا أنها حياة مليئة بالصراع مع الأفكار والمذاهب الفلسفية والجولات العلمية، حيث خلف ورائه فلسفة تثير حيرة الكثير من قرائه، فكانت له العديد من الإنجازات الفلسفية التي عبر عنها من خلال أعماله الفنية، وأيضا من خلال محاورات ومقالات أدبية ومقطوعات شعرية، فكان له عددا كبيرا من الأعمال في مجال الفن والأخلاق والدين والعلم، وهذا ما جعل منه أهم فلاسفة القرن العشرين، حيث تعتبر أعماله التي خلفها

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص31، 32.

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ص581.

ورائه تراثا إنسانيا يقصده كل باحث في الفلسفة المعاصرة وخاصة فلسفة الجمال. حيث سنعرض هنا قائمة بمؤلفات جورج سانتيانا[1] :

– الإحساس بالجمال	–Sense of beauty 1896
– تفسيرات في الشعر والدين	–Interpretation of paety and religon 190
– حياة العقل	–The life of reeson (five valumes) 1905
– اتجاهات نظرية	–Winds of doctrine 1913
– النزعة الشعرية والإيمان الفطري	–Septicism and animal faith 1923
– محاورات في ليمبو	–Dialogues in limbo 1925
– الأفلاطونية والحياة الزوجية	–Platonism and the spiritual life 1927
– عوالم ومقولات الوجود	–Realms of being (four volumes)1928
– فكرة اليسوع في الأناجيل	–The idea of the christ of the gos plats 1946
– السيطرة والقوة	–Dominations and pawer 1951
– الفترة الوسطى الجزء الثاني	–The middle span 1945
– من عتاب أشخاص وأماكن	–My host the world 1951
– العالم الجمهوري	–Three philasophical poets was originally published in 1910

حيث نجد أن أهم كتب عنده تمثلت في : كتاب الإحساس بالجمال، فهو يتناول فيه عن الإحساس بالجمال ومادية الجمال وقد احتل الإحساس بالجمال مكانة هامة في الحياة أكثر من كونه نظرية جمالية تناولت الفلسفة والفنون التشكيلية مع الشعر والموسيقى، حتى أصبحت أكثر الآثار البارزة في هذا الاهتمام الإنساني لأنهم يهتمون فقط بالتأمل ولا تجتذب مصالحهم وأهم ثاني كتاب هو حياة العقل وهدفه هو البحث عن أعلى درجة للعقل وذلك من خلال التجانس بين الفرد و وعواطفه، وأيضا نجد أن كتابه الشك والاعتقاد الحيواني يعالج مسائل العقيدة والشك واليقين وكتابه عوالم الوجود الذي يتحدث فيه عن أكثر من عالم للوجود ويعرض فيه للوجود والماهية[2].

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص269.

[2] سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، ص22.

فجورج سانتيانا كان من أهم فلاسفة عصره وهذا من خلال مؤلفاته الضخمة والعميقة التي تركها خالدة، فكانت مرجع العديد من الفلاسفة بعده خاصة من الفلاسفة الطبيعيين لأنه كان من أكثر الفلاسفة الطبيعيين الذين خاضوا في جوف الطبيعة.

المبحث الثاني: فلسفة الجمال في أمريكا (جورج سانتيانا نموذجا).

إن أمريكا فكريا تنقسم إلى أمريكيتين ، إحداهما أوروبية والأخرى أمريكية ، فأمريكا الأوروبية تشمل الولايات الشرقية حيث يلتفت المهاجرون الجدد بحنين واشتياق إلى أوطانهم التي جاؤوا منها، فكان مستوى الفن والذوق في المدن الأطلسية إنجليزي والتراث الأدبي إنجليزي والفلسفة تسير على النهج الإنجليزي ، مما جعل هناك انجلترا جديدة فهي التي سطرت أولى كتب الفيلسوف الأمريكي الأول جوناتان ادواردن وهي التي استهوت وهيأت لجورج سانتيانا فهو أمريكي بحكم جغرافي فقط ، أما أمريكا الأخرى فهي ذات طابع أمريكي تشمل الشعب الذي تأصلت جذوره في التربية الأمريكية وهي التي أثرت في وليام جيمس الذي عدا ناطقا بفلسفتها وأيضا هي أمريكا التي أنجبت جون ديوي [1].

وهذا ما جعل من فلسفة الجمال في أمريكا لا تكتفي بمنظور واحد، ذلك أن لكل فنان وفيلسوف رؤيته الخاصة المستمدة من نظرته الخاصة المنبعثة من واقعه المعاش أو تراثه الفني أو من خلال الاطلاع على الفنون البدائية، وهذا ما أدى إلى تعدد المذاهب في توضيح الفنون الجمالية الأمريكية فمثلا جون ديوي يربط نظرته للفن بتفاعل الإنسان بواقعه وهذا ما سماه بـ "الخبرة".

ويعتبر هذا التميز في الفلسفة الأمريكية من أبرز سمات الفلسفة المعاصرة لأنها اهتمت بالوعي الإنساني، وكان اهتمامها بالفرد المفرد وهنا كأننا نعود إلى فكرة سقراط " اعرف نفسك بنفسك" وهذا طبعا إلى جانب الارتباط الوثيق بالعلم ونتائجه واصطناع المنهج العلمي للوصول إلى اليقين ولكن إلى أعلى درجة من اليقين[2].

---

[1] ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون إلى جون ديوي، تر، فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6،1988، ص599.

[2] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص9.

ولهذا فإن فلسفة الجمال في أمريكا ليست وليدة الساعة بل إن جذورها تمتد من الماضي السحيق اليوناني، لكنها تميزت بنوع من التغيير والتجديد، لهذا يمكن اعتبارها فلسفة قديمة وجديدة في نفس الوقت، بمعنى أنها قديمة من حيث أصولها الفكرية المأخوذة من الفلسفات القديمة، وجديدة بمعنى أنها حاولت تقديم تفسيرات جديدة لتلك الأفكار القديمة بحيث تكون هذه التفسيرات مختلفة عن التفسيرات وشروحات المصادر التي أخذت منها وتكون بأسلوب لا صلة له بالقديم بمنظور متجدد، يواكب فلسفة العصر المعاصر، لهذا سميت بأنها قديمة وجديدة.

ففلسفة الجمال في أمريكا هي فلسفة الجمال المعاصرة، لأنها تعبر عما عبر عنه الفن المعاصر من ملامح الحضارة المعاصرة، ذلك أن الفن يجسد بالصورة المحسوسة ما تسوغه الفلسفة من تصورات وأفكار مجردة، وتفاوت قدرة المذاهب في توضيح هذه السمات بقدر ما تفاوتت في تفسيرها لطبيعة العمل الفني والخبرة الفنية[1].

وهذا ما جعل الفلاسفة الأمريكيين قد أولوا اهتماما كبيرا للحقل الفني والجمالي وقد خصصوا عناية دقيقة بمسائل علم الجمال، حيث نذكر من بينهم الفيلسوف الأمريكي المعاصر "جورج سانتيانا" على الرغم من ترتيبه وتسلسله الزمني يكون أصغر فيلسوف بين الفلاسفة الأمريكيين، ولكن عمق أفكاره وأريج أسلوبه جعله يصنف من كبار الفلاسفة الأمريكيين، حيث قدم العديد من الأعمال في علم الجمال وقد اخترته كنموذج في دراسة علم الجمال.

إن سانتيانا أنكر "علم الجمال" أصلا ورفض فلسفة الفن ضمن فروع الفلسفة الأخرى فهو يرى أن فلسفة الفن مجرد دراسة لفظية مثلها في ذلك كمثل فلسفة التاريخ سواء بسواء

[1] أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ب ط،1998، ص188.

وكانت حجة سانتيانا في هذا الرفض أن فلسفة الجمال لا تخرج من كونها مجموعة من الدراسات المختلطة التي عملت على إيجادها بعض الظروف التاريخية والأدبية[1].

فتداخل مساحة الفن مع مساحات العلوم المختلفة أدى إلى نكرانه لهذا العالم واعتبره أنه دراسة مختلطة ولهذا لا يوجد ما يسمى بعلم الجمال، وفضلا عن اعتقاده في أن "الخبرة الجمالية" لا تمثل خبرة مستقلة بذاتها بل نحن هنا إزاء خبرة شائعة في الحياة بأسرها فلا سبيل إلى دراستها في عزلة عما عداه من خبرات حيوية أخرى[2].

ويعود سبب ذلك أن موضوع اشتراكها بين العلوم وتداولها بينهم هو موضوع "الخبرة الجمالية"، تداوله كل من علماء النفس ومؤرخو الفن والفلاسفة والنقاد وغيرهم، فهي شملت العديد من المواضيع في شتى مجالات الحياة.

فأن كلمة الفن عند سانتيانا تعني معنيين مختلفين حيث يقوم بتفرقة واضحة بين هذين المعنيين، معنى عام يجعل من الفن مجموعة العمليات شعورية الفعالة التي يؤثر الإنسان عن طريقها على بيئته الطبيعية، لكي يشكلها ويسوغها ويكيفها، ومعنى خاص يجعل من الفن مجرد استجابة للحاجة إلى المتعة أو اللذة: لذة الحواس ومتعة الخيال، دون أن يكون للحقيقة أي مدخل في هذه العملية[3].

وعلى هذا النحو يكون الفن بالمعنى الأول عبارة عن غريزة تشكيلية شاعرة بغرضها والمعنى الثاني هو الذي نقصده عندما نتحدث عن الفنون الجميلة بما فيها الصوت والحركة واللغة.

أراد سانتيانا أن يحدد مفهوم الجمال فقال إن الإستطيقا تعني في الأصل اللغوي الإدراك الحسي، وربط الاستعمال بينه وبين موضوع خاص للإدراك الحسي وهو الذي نصفه

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، ب ط، 1966، ص59.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص60.

بأنه جميل فهو يرى الجمال بأنه اللذة إذا تجسدت موضوعا، فحينما يرى المشاهد أن لذته هي صفة في الموضوع الذي يشاهده فإنه يقول عنه أنه جميل[1].

حيث اعتبر اللذة من أهم خصائص الجمال، وقد يبدو لأول وهلة أن مفهوم الجمال لا يدخل على الإطلاق في تعريف الفن بهذا المعنى الواسع، ولكن من المؤكد أن القيم الجمالية هي التي تضمن لأهداف الحياة اكتمال تحقيقها، وبهذا يؤكد سانتيانا أن هناك علاقة وثيقة بين مفهوم الجمال ومفهوم الفن ويتمثل هذا بوضوح من خلال النظر إلى الفنون الجميلة[2].

فالفن عند سانتيانا هو انتقال من المادة إلى الصورة، أو بالأحرى من المادة الجامدة إلى المادة المرنة المتكيفة مع الرغبات الإنسانية[3].

حين يتحرر الإنسان من عبودية الطبيعة لكي يصل إلى حرية الروح، فيصبح لديه رغبة مستترة وطموح من أجل تغيير الواقع المادي الصلب بتعديله بما يتلاءم لرغباته ويتوافق مع أحلامه ويكون تحقيق هذا بحرية الروح التي تصنع ما يلاءم الإنسان وما يرضي ميوله بحيث لا يكون هذا التحول مجرد تحول المادة إلى صورة جميلة أو يكون مجرد تحقيق غاية يطمح إليها، بل يكون هذا التحول بمثابة شعور ممتع للإنسان حيث ينظر إلى خلاصة تحقيق جهده الفكري والفني، فيتأمل الصورة التي صنعتها يداه.

وهنا لا يكون الفن مجرد مدرسة للحياة، بل يكون أيضا بمثابة الصانع الذي ينتج لنفسه ما هو في حاجة إلى استهلاكه أو بمثابة الحارث الذي يحصد ثمار عمله، ولا شك أن النشاط الفني إنما هو مظهر لاستمتاع العقل البشري بأعظم ثمرات إنتاجه وأسمى آيات إبداعه[4]. وهكذا يصل الإنسان إلى حد إشباع اللذة وهذا ما يثبت العلاقة الوطيدة بين الجمال والفن.

---

[1] عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ص583.

[2] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص60.

[3] المرجع نفسه، ص61.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: أسس فلسفة جورج سانتيانا.

استقى سانتيانا عناصر فلسفته من منابع فلسفية شتى، ولذلك يعد تتبع الأسس الفلسفية له من الأمور الشاقة والمعقدة معا لتنوعها وامتداده في أعماق التاريخ الفلسفي[1]، حيث تنبثق جذورها من قديم الأزل أي من الفلسفة اليونانية، حيث تأثر بكبار فلاسفتها وخاصة الأفلاطونية المثالية وفلسفة ديمقريطس الطبيعية وأخذ من محاورات أفلاطون "الجمهورية" حيث أطلق سانتيانا على المثل الأرواح، فالروح عند سانتيانا كالمثل عند أفلاطون.

وقام أحد الباحثين يدعى "سوليفان" ببحث ليعرض فيه ميراث سانتيانا فرأى أن فلسفته تتبع من المثالية اليونانية والمادية والنزعة الشكية، أما النزعة الروحانية فكانت من القرون الوسطى، هذا إلى جانب الأفلاطونية المحدثة وكذلك الفلسفة الهندية، فهي فلسفة حافلة بالتقليد كفلسفة جون ديوي في التعبير عن المزاج المعاصر حيث أن العناصر الأساسية التي شكلت فكر سانتيانا الفلسفي هي ثلاثة، الأفلاطونية اليونانية والنزعة المادية والنزعة الشكية[2].

حيث أنه استمد النزعة المادية من والده أولا ثم من فلاسفة اليونان الأوائل ثم فلسفة هوبز وفلسفة جون ستيوارت ميل، وليبنز رأى أن فلسفة سانتيانا تعكس الأفلاطونية المحدثة[3]. ويرجع هذا الصراع القائم حول فلسفة سانتيانا إلى تشعب أفكاره وتعمق دراسته في الفلسفات والنظريات السابقة مما جعل من فلسفته تتسم بالسعة والعمق معا.

حيث بدأ سانتيانا في تكوين فلسفته في فترة الأربعين سنة التي تواجد فيها في أمريكا حيث درس على يد وليم جيمس وجوزيا رويس، واعترف بفضل جيمس في تكوين عقليته الفلسفية والفكرية ويقول عنه "إن ما تعلمته من جيمس ربما كان تلك الأشياء التي لم يعلمها

---

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص33.

[2] سعيد علي عبيد، فلسفة القيم عند جورج سانتيانا، (دراسات جمالية وأخلاقية)، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، 2006، ص45.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص33.

جيمس لأحد، ولكني شربت منه تلك الروح الفكرية، كما استوعبت تلك الخلفية التي كان يعلم بها طلابه ومريديه"[1]، فكان لأستاذيه دور مهم وفعال في توجه سانتيانا فكريا فجيمس ترك فيه بصمة فلسفته أما رويس فقال عنه أنه كان يتمتع بعقلية علمية قوية لذلك كان مفيدا بصفة دائمة.

وعلى ذلك كون سانتيانا معهم في أمريكا وحدة التأصيل التي تشير إلى ملحمة رائعة في تاريخ الفلسفة الغربية، فهؤلاء هم فلاسفة هارفارد الذي ظهروا في عصر تميز باضطراب التصور[2].

ومن هنا أخذ سانتيانا يتحدث من أجل العقل البشري لأنه يعلم أن أسوء ما يقع فيه الفكر هو قبوله الآراء التقليدية قبولا أعمى، لهذا فهو يبدأ بالشك في كل شيء[3].

فمن وجهة نظره أن العالم الخارجي يأتي من خلال الحواس وبالتالي فإن الأحداث الماضية تصل عن طريق الذاكرة وهي التي تؤثر فيها الرغبة وهنا يظهر العالم قابل للشك، أما اليقين حسب نظره فهو يأتي في لحظته، فمثلا اللون أو الصورة أو الطعم هذا هو العالم الحقيقي ويكون هذا الظهور للعالم الحقيقي عن طريق الكشف عن الجوهر.

فانطلق سانتيانا بوضع أسسه الفلسفية، فبدأ أولى كتاباته بنظم الشعر، فعلى الرغم من كونه أستاذا للفلسفة في جامعة هارفارد إلا أنه لم يكتب مؤلفاته الأولى بوصفه فيلسوفا وإنما كشاعر مولع ببعض صور الجمال والحكمة[4].

لهذا نجد أن مؤلفاته مزيج بين الشعر والفلسفة، فمن أهم نظرياته الفلسفية كانت نظريته في قيمة الجمال وذلك نتيجة لتأثره بالصور والجمال، فهو يرى أنها العالم الحقيقي للإنسان الذي يترجم فيه إبداعاته وانجازاته التي تكون في مخيلته ويترجمها على أرض الواقع

---

[1] سعيد علي عبيد، فلسفة القيم عند جورج سانتيانا (دراسات جمالية وأخلاقية)، ص48.

[2] المرجع نفسه، ص49.

[3] المرجع نفسه، ص50.

[4] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط 3 ،2006، ص352.

من خلال انفعالاته. حيث عرف الجمال في كتابه "الإحساس بالجمال" كما يلي: "الجمال هو قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء خلعنا عليها وجودا موضوعيا أو على الأقل الجمال هو لذة نراها صفة في الشيء ذاته"[1] ، ويقصد بهذا التعريف أن الجمال ليس إدراك حقيقة أو واقع وإنما هو انفعال لطبيعتنا الإرادية التذوقية وهو قيمة إيجابية بالإحساس بوجود شيء أو عدمه.

وتوصل سانتيانا عند بحثه في قيمة الجمال إلى أن جميع الوظائف الإنسانية تخدم إحساسنا بالجمال، مثل عاطفة الحب، والضمائر الاجتماعية المختلفة، والحواس جميعا تقوم على خدمة الإحساس بالجمال، ومن الأشكال الجمالية في نظره فن النحت والزخرفة والأشكال اللفظية والتراكيب اللغوية بصفة عامة[2].

فقد كانت فلسفة سانتيانا الجمالية تحمل في طياتها جميع الوظائف الإنسانية التي تخدم الإحساس بالجمال حيث يبرز فيها أهمية العلاقة بين المنفعة والجمال، حيث يرى أن العين الجميلة لأنها مخلوقة للأبصار، والبيت الجميل لأنه ملائم للمعيشة بداخله، فالجمال لا يستقيل عن الضرورة لأن الضرورة تجعلنا نشعر بأهمية الشيء الجميل، كما أن هناك نقطة أخرى في فلسفة سانتيانا أنها تتعلق بذكره أهمية المادة في فهم القيمة الجمالية[3].

من خلال ما ذكرناه فيما سبق نجد أن جورج سانتيانا قد أثبت من خلال كتاباته المبكرة في أمريكا وأوروبا على السواء أنه من أعظم فلاسفة الجمال في القرن العشرين، ومن أبرز الفلاسفة النقديين في علم الجمال، فقد كون فلسفة جمالية وأعطى نظرية في علم الجمال وخطى على أسس فلسفية جمالية فترك، وراءه تراثا فلسفيا عظيما تشهد له الفلسفة الغربية والأوربية.

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، تر، محمد مصطفى بدوي، مراجعة زكي نجيب محمود، تحرير محمد عنانى، مكتبة الأسرة، القاهرة، ب ط، 2001، ص74.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص38.

[3] المرجع نفسه، ص57.

الفصل الثاني: الأخلاق عند جورج سانتيانا.

- ✓ **المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.**
- ✓ **المبحث الثاني: الأخلاق والفن.**
- ✓ **المبحث الثالث: الفن والدين.**

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق.

إن الاهتمام بالأخلاق كان من أهم وأقدم الموضوعات التي اهتمت بالإنسان عبر التاريخ وحتى قبل وصول المجتمعات إلى مراحل متقدمة إذ تعود جذورها إلى الفكر الشرقي القديم، حيث يعتبر هو المصدر الأساسي التي استقت منه فلسفة الأخلاق بوجه عام، وهذا ما جعلها محط اهتمام الفلسفات سواء كانت غربية أم أمريكية أو أوروبية، لذلك فالقول بأن سانتيانا فيلسوف أمريكي يقودنا بالضرورة أن فلسفته الأخلاقية تمد بجذورها إلى الفلسفات الشرقية القديمة.

فسانتيانا يرى أن عالم الأخلاق هو عالم الواجب والإلزام والتكليف والصراع ضد الخطيئة ومنها فقد اقترنت الأخلاق بالنشاط الجدي الشاق[1]، بمعنى أن العالم الأخلاقي تتحكم فيه الحياة والأوضاع الاجتماعية بالابتعاد عن كل الملذات والتزام الإنسان التام بما تمليه الحياة الاجتماعية.

لهذا فإن القيم الأخلاقية عند سانيانا هي قيم سلبية تقتصر مهمتها على اجتناب الألم ومحاربة الشر، فسانتيانا أطلق على القيم الأخلاقية مبدأ السلبية بمعنى إدراك لما هو شر[2].

يرى سانتيانا أن مذهب الأخلاق الذي يقوم على مبدأ اللذة كان ومازال يتحتم عليه أن يناضل الحاسة الخلقية لدى الإنسان والنفوس الجادة التي تحس بكرامة الحياة وأهميتها تثور ضد الفكرة القائلة بأن غاية السلوك السليم هي اللذة لأنهم يرون أن اللذة عادة إغراء يجب مقاومته، بل يذهب بعضه إلى أبعد من ذلك فيجعل من تجنب اللذة فضيلة الفضائل[3]، إن نظرة المذهب الأخلاقي كانت صارمة وواضحة فيما يخص مبدأ اللذة للإنسان لأنها هي التي

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص61.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص62.

تدفع الإنسان إلى فعل الرذائل وتوقعه في الخطايا ولهذا وجب عليه الابتعاد عنها ومحاربتها بعدم خضوعه لها.

فسانتيانا رأى بأن الأخلاق في الحقيقة لا تهتم أساسا بتحقيق اللذة وإنما في الأعمق تهتم بتجنب الألم، فاعتبر سانتيانا أنه مما يثير الضحك أن نجعل من واجبنا أن ننشد المتعة، فنحن لا نشعر بأي واجب يدفعنا إلى ذلك الاتجاه وإنما ننشد اللذة على نحو طبيعي مباشر بعد أن ننتهي من عملنا في الحياة، وأهم ما تتسم به اللذات هو أننا نحس بالحرية والتلقائية حينما نستمتع بها[1]، فالأخلاق لا تسعى إلى تحصيل اللذة لأنها عملية تلقائية يمر بها الإنسان بعد الانتهاء من أعماله وهذا ما يجعل الإنسان يعيش في حالة من الراحة والطمأنينة والسعادة، فواجبنا الجاد في الحياة والتي تسعى الأخلاق إلى الابتعاد عنه وتجنبه فهو الهروب من تلك الشرور المرعبة التي تتعرض لها طبيعة حياتنا مثل الموت والجوع والمرض والعزلة[2] ، لأن هذا ما يسبب الألم للإنسان ويشعره بالزهد في الحياة.

فحينما يتكلم الضمير فإنه يتكلم في الحقيقة بصوت يستمد سلطانه من تلك الشرور المرعبة التي تقبح كالأشباح وراء كل أمر أو نهي أو قاعدة خلقية وعندما ينصت الضمير إلى تلك الأشباح يحس بلا ريب بأن السعي وراء اللذة مسألة بالغة التفاهة، ويحس الإنسان بعدها أن السعي وراء الملذات وشتى التجارب الحسية مصيره الوقوع في الأخطاء دون أن يعي[3].

فضمير الإنسان يعتبر هو سلطانه وهو الذي يسير أفعاله بطريقة ما، ولذلك يجد الإنسان نفسه في حالة حوار دائمة ومستمرة تجمعه مع ضميره الذي يعتبر بمثابة محكمة داخل هذا الفرد بل بمثابة محكمة للمجتمع داخل الفرد ويكون حسب فهم هذا الفرد للمجتمع

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص62.

[2] المصدر نفسه، ص63.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أو البيئة المحيطة به من خلال نوازعه الداخلية، فالضمير الفردي هو انعكاس لضمير الجمعي.

لكن سانتيانا رأى أنه بتطور المجتمع وخروجه من سيطرة الواقع الاجتماعي والبيئة المحيطة به يصبح الإنسان لديه إحساس من أن يبتعد عن تلك الشرور، ونجد أن الأخلاق يدب فيها التهاون والتساهل والأشكال التي تأخذها الحياة بعد ذلك لن يفرضها سلطان الأخلاق وإنما يحددها هو، عبقرية الجنس والفرص السانحة وأذواق الأفراد ومواردهم ويتنازل حكم الواجب والقانون إلى حكم السماح والحرية[1].

فنظرة سانتيانا بأن يتخلص المجتمع من هذا الخيال المكبل من خلال تطوره يكون قد أزيل الخطر والألم وكل ما يثير الشفقة وبالتالي فالحاجة إلى الأخلاق سوف تختفي ومن هنا يتحرر الإنسان عن فعل الأشياء بحكم التسلط ويصبح الإنسان في حالة حرية تماما من كل القيود وتتيح له فرصة الإبداع.

فإن اللذة والألم عند سانتيانا هي صفات ثانوية لا أساسية ومعظم الصفات التي نتصورها الآن إنها تنتمي إلى الموضوعات الحقيقة وهي صور بصرية و لمسية بينما اللذات والألم من أوائل الإحساسات التي اعتبرناها مجرد صفات ثانوية وهذا طبيعي إذ أننا ما كنا ننجح في ميدان الفعل لو تصورنا اللذة والألم من صفات الأشياء ذاتها[2].

ولهذا فإن سانتيانا يقرر أن الإحساس بالجمال إنما هو الإحساس بوجود خير محض إيجابي تماما، وهذا ما دفعه إلى أن يحاول في كتابه الإحساس بالجمال إلى إقامة أخلاق جمالية على اعتبار أن أمثال الشرف والصدق والنظافة وغيرها إنما هي فضائل جمالية مبعثها نفور الضمير من القبح والذي ينطوي عليها كل سلوك أخلاقي لا يراعي أمثال هذه المبادئ، وبهذا يعود سانتيانا إلى الفكرة اليونانية القديمة التي تجمع بين الخير والجمال في

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص63.

[2] المصدر نفسه، ص89.

مفهوم واحد ويقرر أن المطلب الجمالي الذي يقتضي بالخير الأخلاقي إنما هو أجمل ثمرة من ثمار الطبيعة البشرية[1].

فالجمال يحمل في ثناياه كل ما يعنيه الجمال من قيم أخلاقية تحرر الإنسان وتفتح الأذهان وتعمل على صفائها وبهذا يكون قد حقق التوازن والتلاؤم في الحياة بوصول الإنسان إلى تذوق حلاوة الجمال بكل معانيه.

فقد عبر سانتيانا بأن الأخلاق هي الاهتمام الحريص بالنتائج البعيدة المدى اللازمة لتجنب مثل هذه النتائج السيئة، وأنه لمن العقم أن يحاول المرء استبعاد الأخلاق وحين أقول ذلك فإني لا أنكر الخير الكامن في التجربة الجمالية[2]، لأن الأخلاق الجمالية دائمة البحث عن كل ما هو خير وفضيل ويحقق السعادة للإنسان، فحينما تكبح الأخلاق يصبح الإنسان مقيد ويعمل كآلة، وهنا تفقد الأخلاق وتصبح حبيسة العادات والتقاليد.

فإن تقدير الجمال وتجسيده في الفنون من ضروب النشاطات التي لا نمارسها إلا وقت العطلة والفراغ، حينما نتخلص لفترة محدودة من ضل الشرور ومن عبودية الخوف ونتبع طبيعتنا حيثما تقودنا وهكذا فإن القيم التي نعنى بها في ميدان الجمال قيم إيجابية[3].

وتقوم هذه القيم الإيجابية على فضائل جمالية هدفها الإبداع وترجمة قدرات الأفراد وأذواقهم بكل حرية، ما دفع سانتيانا إلى القول إنه لا يدخل في نسيج الجمال إلا ما هو خير في الحياة فالذي يبهجنا في الشيء الكوميدي والذي يهزنا في الشيء الجليل ويبتزنا في الشيء المشجى هو رؤية خير ما، ولا يوجد للنقص أي قيمة إلا باعتباره بداية الكمال[4].

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص64.

[2] جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية، تر، فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1 ،2007، ص525.

[3] جورج سانتيانا الإحساس بالجمال، ص63-64.

[4] المصدر نفسه، ص344.

بمعنى أن الجمال وسيلة للتعبير عن ذات الإنسان، فالجميل يعبر دائما عن الخير الأسمى، فالخير يعتبر بمثابة الركيزة الأساسية للجمال، فتذوق الجمال هو الاستمتاع بالكمال وتحقيق السعادة في الحياة.

حيث يقول سانتيانا "إن ما تتوق إليه الروح في البدء وبإلحاح هو الحقيقة الكاملة والخير التام اللذان يعيشان كآلهة مصر القديمة في حجرة داخلية مظلمة ولا يمكن الدنو منها بشكل لائق إلا بعيون خفيضة"[1].

و يتبين لنا أن فيلسوفنا ربط بين مفهوم الجمال ومفهوم الخير الأخلاقي من خلال ربطه بين الإحساس بالجمال والخير على أساس أن أي إحساس بالجمال هو إحساس بوجود خير خالص إيجابي تماما، وأن المثل الأعلى لا بد أن يحقق التوافق بين الفضيلة والجمال[2].

ومن هنا نلاحظ أن الإبداع الفني يقوم على أساس المزج بين الجمال والخير فينتج عن هذا المزيج أخلاق جمالية تنشر السلام والاتحاد في الحياة ولا سيما إذا تسنى لهذه الأخلاق الجمالية أن تتحقق بكل حرية.

ففي نظر سانتيانا أنه كانت الرابطة وثيقة الصلة بين الأخلاق والجمال لأنه يريد أن يخضع القيم الجمالية للقيم الأخلاقية أو العكس، بل لأنه ثمة تبادلا طبيعيا في نظره بين الأعمال الفنية وأفعال الحياة لأن جمال الفن لا يمكن أن ينفصل عن إنسانية السلوك[3].

إن الأعمال الفنية تعبر عن الواقع الذي يعيش فيه الإنسان فهو يبدع من خلال ذلك عن طريق ترجمة أفعال الحياة في صورة عمل فني، فلا يمكن فصل الجمال عن السلوك الإنساني لأن هذا ما خلق رابطة بين الأخلاق التي هي وسيلة تعبير عن سلوك الإنسان

[1] نقلا عن، سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، ص265.

[2] رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1998، ص285.

[3] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص79.

وبين الجمال الذي يعبر عن تحقيق السعادة لما يحمله من وظائف حيوية تنقل الإنسان من حالة نشاط مقيد إلى حالة نشاط حر.

فقد توصل سانتيانا عند بحثه في قيمة الجمال أن جميع الوظائف الإنسانية تخدم إحساسنا بالجمال، مثل العاطفة، الحب، والضمائر الاجتماعية المختلفة، والحواس تقوم جميعا على خدمة الإحساس بالجمال، ومن الأشكال الجمالية في نظرة فن النحت والزخرفة والأشكال اللفظية والتراكيب اللغوية بصفة عامة، فالجمال هو الحق أو هو التعبير عن المثالي أو رمز للكمال أو المظهر الحسي للخير، فهو انفعال لطبيعتنا الإرادية التذوقية[1].

إن سانتيانا كان حريصا دائما على استبعاد الشر من دائرة الجمال وعلى اعتبار أن الخير وحده هو الخيط الأساسي الذي يتكون منه نسيج الجمال ومن هنا رفض شتى القيم السلبية التي تمسكت بها الحركة الرومانتيكية بحجة أنه لا يمكن لأي قيمة جمالية أن تقوم على خبرة سلبية أو تجربة من تجارب الشر[2].

نستنتج من هنا أن الأخلاق السانتيانية هي أخلاق جمالية تقوم على دعامة الربط بين الخير والجمال باعتبار أن جميع الفضائل الإنسانية هي فضائل جمالية (شرف، صدق عدالة،... إلخ)، وبالتالي فإن القيم الجمالية هي قيم إيجابية في جوهرها، لأنها تنطوي على إدراك الخير، فالجمال يرضي أو يلبي حاجات الإنسان ويترجم رغباته عن طريق ملكة العقل البشري ما جعله يتصف بصفتين يحملهما الإنسان وهما الذاتية والإيجابية، وهذا ما ولد رابطة قوية بين الأخلاق والجمال، وتتشد هذه الرابطة إلى تحقيق التذوق الجمالي، فمن خلال طريق الجمال يستطيع الإنسان أن ينسق الأشياء بشكل إبداعي وهذا ما يشعره بالاستمتاع بالسعادة ويحقق له بلوغ الكمال، لأنه استطاع ترجمة لذته الحسية والعقلية بشكل فني مميز في خضم نشاط فني حر.

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص38.

[2] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص78-79.

فالجمالية الأخلاقية هي الاتجاه التي تنظم السلوك وفقا لمقتضيات الجمال، لأن الحياة عند أصحاب هذا الاتجاه لا تكون كاملة إلا إذا كانت جميلة ولأن البحث عن الترتيب والانسجام أفضل من التقيد بواجبات العدالة الضيقة[1].

فالقيم الجمالية ليست منفصلة عن الإنسانية، فهي ليست مطلقة ولا يمكن أن تكون منفصلة عن قيم إنسانية أخرى، بالرغم من أنها تختلف عن هذه القيم اختلافا نوعيا ورغم خصوصيتها فالقيم الجمالية لا تتعلق بموضوعات متعالية متجاوزة لما هو إنساني فهي شيء واقعي في حياتنا الإنسانية كما يرى سانتيانا[2].

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ج1، 1982، ص409.

[2] سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، ص252.

المبحث الثاني: الأخلاق والفن:

إن الفكر الفلسفي المعاصر شغلته إشكالية الأخلاق والفن حيث واجها صعوبة كبيرة في ترجيح أحد الطرفين، وهذا ما جعل الدراسات تعددت في هذا الموضوع، وذلك لأن كلاهما يمثل علاقة الإنسان بالواقع، ومنه فإن كل الذي يعنينا من هذه الدراسات إنما هو حديث جورج سانتيانا ودراسته حول الفن والأخلاق.

إن فيلسوفنا يعد الفنون بمثابة نتيجة آلية تولدت من تلقائية الغرائز فلم تكن المحاولات الفنية الأولى سوى مجرد محاولات عشوائية وتلقائية نتيجة عن بعض الحركات العفوية للسلوك البشري[1].

لهذا فإن سانتيانا يرى أن جمال الفن لا ينفصل عن إنسانية السلوك، فالإنسان والصانع والفنان يبذل جهدا ليحيا حياة إنسانية بمعنى الكلمة، فالخبرة الجمالية هي تلك الخبرة التي تحقق توافقا بين مسار أفكارنا ومسار الطبيعة أو بين عقولنا وتجريبنا[2]. هذا ما وحد بين الفن والأخلاق عند سانتيانا فهو يرى أنه لا يوجد هناك انفصال بين القيم الجمالية، وكافة الاهتمامات البشرية الأخرى، فالفن شيء غريزي في الإنسان يولد معه بالفطرة.

فإشارات الإنسان وضحكه وبكائه وصياحه ونطقه وغيرها من الحركات الأخرى المتوقفة تماما على الحاجة المباشرة، فقد وجد الفرد في القيام بأمثال هذه الحركات نشاطا ممتعا نسبة إلى نفسه، فرأى الفرد أن هذه الحركات تنطوي على لذات جمالية فكررها نظرا لأنها تعدل من حالته الحساسة وتزوده بضروب جديدة من الإبداع، ومن هنا فإن الرقص والشعر وشتى فنون الحركة لم تكن في الأصل لدى الإنسان البدائي سوى مجرد منافذ لاستنفاذ طاقة الإنسان أو تتبع ميوله[3].

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص74.

[2] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، تر، محمد مصطفى بدوي، مراجعة زكي نجيب محمود، تقديم رمضان بسطاويسى محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب ط،2011.

[3] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص75.

فالفن بمعناه العام هو كل فعل تلقائي يعززه النجاح ويحالفه التوفيق بشرط أن يتجاوز البدن لكي يمتد للعالم فيجعل منه منبها أكثر توافقا مع النفس[1].

وهذا ما جعل الإنسان يسعى باحثا عن المتعة، فأخذ الفرد دوامة في البحث عن طرق ووسائل وأشكال أخرى من المتعة التي تبقى موجودة ولا تزول ويكون ذلك من خلال تسجيلها على أرض الواقع إلى أن اكتشف الفرد فنون النحت والزخرفة والنقش والرسم.

ومن هنا بدأت انطلاقة الفن وخط خطوط بداياته فالفن في نظر سانتيانا هو عامل حيوي فعال يلعب دورا مهما في حياة العقل بوصفه الأداة الناجحة التي تعدل من البيئة القائمة على أحسن وجه حتى تتمكن من تحقيق أغراضها ومقاصدها[2].

إذن فالفن له دور حيوي ومهم في العقل البشري باعتبار أن الفن هو أداة يصنعها العقل من أجل الاستمتاع بجهده الفكري والفني، فالعقل الأخلاقي هو الذي يهتم بتحديد وظيفة الفن في الحياة الإنسانية، فمن خلاله يصل الفرد إلى رؤية ما صنعت يداه وبهذا يكون قد حقق إبداعاته وتوصل إلى حد الإشباع، وعلى هذا الأساس تبنى الحضارات الإنسانية وتتطور وترقى المجتمعات وتزدهر الثقافات.

لذا فسانتيانا يقدم سلطان الأخلاق على الجمال فيقول "ولهذا فإن مقدار ما يجب علينا أن نضحي به من الخير الجمالي هو مسألة خلقية بالطبع، فوظيفة العقل العملي هي مقارنة مصالحنا أو اهتماماتنا والتوفيق بينهما بقصد الوصول إلى ما يمكن لطبيعة البشرية ان تصل اليه من سعادة [3].

ولذلك لابد أن نتوقع من الفضيلة أن تقيد من انفعالاتنا جميعا على سواء، ولا يرجع ذلك إلى تعادي أيا من هذه الانفعالات وإنما يرجع الى أنها تهتم بها جميعا، ولذلك فإن مقدار ملذاتنا الجمالية من اعتبار يعتمد على مدى تأثيرها على سعادتنا، ولما كان هذا

---

[1] زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر، القاهرة، ط3، 1976، ص11.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص293.

التأثير يختلف باختلاف العصور فلابد أن تتفاوت درجة الأهمية التي تعطى للمطالب الجمالية في تنظيم حياتنا[1].

فإن للأفكار الخلقية تأثيرها على أحكامنا الجمالية، وإن إحساسنا بالمصلحة العملية لا يحدد القيمة الخلقية للجمال فحسب، بل يحدد وجودها ذاته من حيث هو خير جمالي فالأشكال التي تبعث عن اللذة تتحول إلى نقيضها حينما تتعارض تعارضا حادا مع المصالح العملية في الشعور[2].

فالمصالح الأخلاقية ليست وحدها التي تحدد القيمة الأخلاقية للجمال، بل هو الذي يحددها في ذاته من خلال الخير الجمالي وذلك لما يحمله من سمات الفضائل الخيرة التي تحتوي عليها القيم الأخلاقية ولهذا فإن هذه القيم لها تأثيرها على الأحكام الجمالية، ما يخلق التعارض عندما تذهب أشكال البحث عن اللذة إلى نقيض هذه القيم أو المصالح الأخلاقية.

وهنا يظهر دور الضمير الأخلاقي للإنسان في ضبط الأحكام الأخلاقية والجمالية فبدون الضمير لا يكون الانسان إنسانا بل مجرد مجموعة من الخبرات الغير مترابطة وبدون الفن تكون الحياة شكلا أجزاؤه غير متناسقة مع بعضها البعض في علاقتها الداخلية أيضا[3].

حيث نجد لالاند يعرف الضمير الأخلاقي" بأنه خاصية العقل في إصدار أحكام معيارية تلقائية ومباشرة على قيمة أخلاقية لبعض الأعمال الفردية المحددة. عندما يطبق هذا الضمير على أعمال الفاعل المقبلة، فإنه يرتدي رداء (صوت)، يأمر أو يمنع[4].

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص293.

[2] المصدر نفسه، ص294.

[3] رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ص272.

[4] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2001، المجلد الأول، ص212.

إن مشاعر الرضى التي ترمي الأخلاق إلى تحقيقها ليست جمالية فحسب، فحينما يتكون ضميرنا ويكتسب المبادئ السليمة سلطانا مباشرا على نفوسنا يصبح موقفنا لإزاء هذه المبادئ موقفا جماليا أيضا[1].

فالكشف عن الجمال إنما هو بالنسبة عند البشر أكبر دليل على إمكان تحقيق الخير الأسمى في صميم التجربة البشرية والحق أن الفن إنما هو الشكل الوحيد من أشكال الفعل الذي يستطيع أن يزودنا عن طريق تأمل الجمال بذلك التحقق المثالي. الذي هيهات للتجربة أن توفره لنا ألا وهو اتحاد الحياة والسلام معا، ولعل هذا هو السبب في أن الجهد الأخلاقي كثيرا ما يصطبغ بالصبغة الجمالية[2]. وهذا ما خلق التوافق والانسجام والترابط بين الطبيعة الفنية التجريبية الخارجية وبين الطبيعة الإنسانية الأخلاقية الداخلية.

وهنا يؤكد سانتيانا أن الجمال هو الضامن لإمكانية توافق النفس مع الطبيعة، وبالتالي فإنه كاف للإيمان أن يسمو الخير الأخلاقي، ومادامت قيمة الفن تنحصر في الطابع الأخلاقي الذي يصيغه النشاط الفني على الحياة الإنسانية بصفة عامة[3].

فمهمة الفن تكمن في أنه يستطيع الكشف عن الدور الذي يشغله في حياة الإنسان من خلال اجتماع الحواس والمخيلة في موضوع رغبتهما.

وإذا كان الفن في نظر سانتيانا وظيفة حيوية فذلك يضمن لنا الانتقال من النشاط المقيد أو الفاعلية المستعبدة إلى مستوى النشاط الحر أو الفاعلية المطلقة، ومن هنا لا يكون الفن مجرد مدرسة للحياة بل يكون بمثابة الصانع الذي ينتج لنفسه ما هو في حاجة لاستهلاكه[4].

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص70.

[2] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص78.

[3] المرجع نفسه، ص66.

[4] المرجع نفسه، ص60.

ولهذا رأى سانتيانا أنه إذا أردنا أن نرقى بالفنون إلى مستوى النشاط العقلي المثالي فإنه لا بد أن نربطها بوظائفنا العقلية الأخرى، ربطا وثيقا بحيث لا يكون هناك بين أن نحمل الأشياء أو نجعلها نافعة أو ندركها في صميم حقيقتها[1]. وهذا ما نتج عنه علاقة وثيقة بين الفن والمنفعة عند الفنان، فالفن يعمل على وصول الإنسان إلى تحقيق رغبته المنشودة وإشباعها، من أجل التكيف مع الطبيعة.

حيث نجد أن سانتيانا حقا يقرب الجميل من النافع في أكثر من موضع على اعتبار أن الكثير من الاشكال الفنية قد صدرت عن بعض الضرورات العملية أو الحاجات النفعية ولكن هذا لا يعني أن تكون القيم الجمالية مجرد قيم عملية أو وسائط نفعية، فالإنسان في الواقع هو في حاجة للتكيف مع الطبيعة وهذا التكيف نفسه هو الذي أدى بأشكال الفن، كفن المعمار مثلا، إلى التوافق مع الضرورات العملية، بما فيها عوامل الوقاية والاحتماء والإضاءة والاقتصاد والتملك وتنوع المواد الأولية... إلخ[2] فالمنفعة لا تقلل من القيمة الجمالية فهي بالنسبة إلى الإنسان ضرورة حتمية في حياته العملية.

صحيح أن العمل الفني لا يدين بجماله لنفعيته فهو يمكن أن يكون على نفس الدرجة من الفعالية إن نقص جماله درجة، فلنقل إذا أن العمل الفني الجميل وبصفته الجمالية هذه عملا موهوبا قام به صاحبه من أجل القيام به ومن أجل الجمال فحسب، فالقصيدة الشعرية واللوحة والتمثال والسيمفونية عديمة النفع عمليا، اللهم إلا بالنسبة لأولئك الذين يجدون من ورائها كسبا، كالطابع والمنفذ والناشر والتاجر[3].

فالأعمال الفنية التي يقدمها الفنان ليس المقصد منها بالضرورة عمل يأتي بالنفع لصاحبه وإنما هي دليل على خروج موهبة فنية إلى الطبيعة المعاشة، فأغلب الأعمال الفنية

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص72.

[3] جان برتليمى، بحث في علم الجمال، تر، أنور عبد العزيز، دار الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ب ط،2011، ص393.

لا تأتي لصاحبها بالنفع فالهدف الأساسي الذي ينشده الفنان هو الوصول إلى السعادة من خلال إشباع رغبته التي ترجمها في صورة عمل فني لا غير ذلك.

وقد أكد سانتيانا أنه لا الفن ولا حياة العقل يمكن أن يوجد إذا كانت المثل ممكنة التحقيق، وقد أشار بصفة خاصة إلى الفن الصناعي والعملي فضلا عن الفن الجميل إذ رأى أن التمييز بين هذه الفنون جميعا غير دقيق، فمن المستحيل الفصل بين فائدة الفن والقيمة الجمالية لأن فنون الموسيقى والشعر والتصوير والنحت تجعل العناصر الإستطيقية جلية[1]. ومنه فإن الفائدة التي يقدما الفن والقيمة الجمالية التي تظهر يعتبران وجهان لعملة واحدة ولا يمكن الفصل بينهما فلولا الأعمال الفنية لما ظهرت القيمة الجمالية علنا ولما استطاع الإنسان التكيف مع مطالبه أو رغباته الباطنية.

فإذا كان الجمال في رأي فيلسوفنا وثيق الصلة بالضروري أو النافع فما ذلك إلا لأن نطاق الظواهر الروحية خاضع هو نفسه لقانون التكيف بوصفه قانونا طبيعيا عاما، حقا إن النشاط الفني يمثل الإنسان مضافا إلى الطبيعة ولكن مهمة الفنان هي الامتداد بالمنفعة بحيث تستحيل إلى الجمال، وهنا يكون عامل اللذة أو المتعة بمثابة العامل الأساسي في صنع بعض الأشكال التجريدية بقيم جمالية[2].

فالمنفعة عند جورج سانتيانا مثل المغزى هي انسجام نهائي في الفنون وقد ارتبط الجانب العملي بموقف الحفاظ على الفن والفنون الصناعية وتعتبر وسائل للسعادة[3]. ونخلص هنا إلى أن الفن عند سانتيانا هو الوسيلة الوحيدة التي يتمكن من خلالها الإنسان خلق التلاؤم والتوازن بين نفسه والطبيعة الخارجية أي بين باطن الإنسان وظاهر الطبيعة البشرية.

---

[1] رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ص280.

[2] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص72.

[3] رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ص280.

ومنه لا بد لنا أن نتوقف قليلا عند نظرية سانتيانا في صلة الفن بكل من الأخلاق والحياة فيبدأ فيلسوفنا حديثه باستيعاب الاتجاهات المختلفة الممكنة في تصور مشكلة الصلة بين الفنون والحياة فيحصرها في مواقف أربعة، الموقف الأول يفصل فيه الفن تماما عن الحياة بدعوى أن الفن للفن وأن النشاط الفني غير مشروط وبالتالي فهو نشاط مستقل تماما عن مظاهر الحياة الأخرى، أما الموقف الثاني فهو على نقيض الأول تماما لأنه يستبعد النشاط الفني من مظاهر النشاط البشري الجدي، فيساير أفلاطون في طرده للشعراء من جمهوريته، ويحجر على الفن باسم الرقابة الأخلاقية الصارمة[1].

وكان موقف سانتيانا من هذين الموقفين باعتبارهما مجرد اتجاهين خطيرين ينطويان على تجاهل تام لشروط المثل الأعلى العقلي، وحينما نعلى من شأن الفن إلى الحد الذي نجعل معه من النشاط الفني حقيقة عليا تحمل تبريرها في ذاتها، دون أن تكون عليها أدنى تبعة بإزاء أي شيء آخر، فإننا نجعل من هذه الحقيقة الفنية واقعة جدباء مصطنعة لا صلة لها على الإطلاق بالحياة الواقعية[2].

أما بالنسبة إلى الموقف الثالث فهو ذلك الذي ينسب إلى الفن قيمة نسبية بوصفه مرحلة ضرورية من مراحل التقدم الديالكتيكي للروح البشرية، وإن كان هذا التقدم أن يقضي بالضرورة إلى تجاوز الحياة الجمالية من أجل الانتقال إلى مرحلة أخرى قد يمثلها العلم أو الأخلاق أو الدين، وأصحاب هذا الاتجاه يعترفون بقيمة الفن ولكن يخضعونه لمبدأ تقويمي يحكم عليه سلفا، في مستوى أدنى من مستويات غيره[3].

وهذا ما جعل سانتيانا يستبعده أيضا ويرفضه مثل الموقفين السابقين لأنهم لا ينسبون الفن لأي طابع نوعي باعتباره مرحلة مؤقتة من مراحل تطور الوعي البشري، ونأتي إلى الموقف الرابع والأخير وهو في نظر سانتيانا الموقف الأوحد الذي ينصف في الحكم على

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص77.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص30.

الفن فهو الذي يدمج النشاط الجمالي في صميم الحياة العقلية للموجود البشري باعتباره مظهرا من مظاهر سعي الإنسان نحو تحقيق المثل الأعلى و بذلك لا يكون الفن مستقلا تماما عن ما عاداه من مناشط الحياة الإنسانية ولا يبقى بمعزل عن الحياة الجدية ولا يضل خاضعا خضوعا مطلقا للأشكال العليا[1].

فواجب الفنان أن يكشف لنا عما في الوجود من إمكانيات الانسجام أو من ضروب التوافق، وليس أبعد عن الفن، بل ليس أدعي اليأس من تلك الاتجاهات الفنية المزعومة التي يحيل أصحابها الفن إلى مجرد مخدر أو أفيون وكأن كل مهمته إنما تنحصر في استثارة خيالاتنا وتهييج انفعالاتنا دون أن تكون له أدنى صلة بوجودنا الواقعي أو بسعادتنا الحقيقة[2].

والمقصود من هذا أن سانتيانا أراد من الفنان أنه عندما يقوم بتقديم عمل فني يجب عليه أن يحترم الفن الذي يقدمه من خلال عمل يبرهن فيه على الانسجام بين الحكمة والفضيلة والجمال وأن يحقق عن طريقة التناغم بين النفس الباطنية والعالم الخارجي، فالفن يساعد النفس على وضعها في موضعها الصحيح حين يقرنها بالوظائف البشرية الأخرى كالجمال والذكاء، فالفن أداة فعالة يصطنعها العقل البشري.

ومنه سانتيانا يهاجم من قال إن الفن أقل من العلم والأخلاق والدين والفلسفة إن هؤلاء ينسون أو يتناسون أن الفن يزيد من تجربتنا الباطنية وأن الكشف عن الجمال إنما هو بالنسبة إلى البشر أكبر دليل على إمكان تحقيق الخير الأسمى في صميم التجربة البشرية[3].

فمن الصعب أن يعترف الإنسان بأن الفن لا ينبغي تقديره إلا لما فيه من دعوة أخلاقية لأن الفن يغدو هنا نوعا من المواعظ بل تصبح المواعظ ذاتها أعظم قيمة منه وإذا تأملنا الأسس التي نحكم بها على الاعمال الفنية لما وجدنا الأساس الأخلاقي واحدا منها فقد

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص30.

[2] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص77.

[3] المرجع نفسه، ص78.

يحدث أن يفضل الناس عملا فنيا يؤدي إلى نوع من التهاون الأخلاقي[1]. وبالتالي فإن صلة الأخلاق بالفن مترابطة ومتداخلة مع بعضها البعض لأنه حسب الدراسة التي قمنا بها نجدهما مرتبطان بالفعل الإنساني والجانب العملي من الحياة.

[1] زكريا فؤاد، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2004، ص268.

المبحث الثالث: الفن والدين.

تعد العلاقة بين الفن والدين من أهم المشكلات التي تطرح دائما في هذا العصر وفي كل عصر من العصور، وقد يكون ذلك ناتجا عن نشأة وطبيعة كل من الفن والدين وأيضا عن رغبة الفنانين في الاستقلال وممارسة الإبداع في حرية[1].

إن الدين ينطوي على الكثير من السمات والمعتقدات والقوانين الأخلاقية ويتضمن مبادئ الخير والصدق وكل صفات النبل ويضع للفرد قواعد للسلوك الأخلاقي من أجل ضبط سلوك هذا الإنسان وبالتالي فالدين هو منظومة من القيم الإنسانية التي تدخل في سلوك الإنسان وتتحكم في مشاعره واحاسيسه وعواطفه وهو الذي يحدد الأخلاق التي تقوم عليها الإنسانية.

إذا فالدين هو النظام الناظم والمؤلف من مفاهيم وعواطف وأفعال، تشكل العنصر الأسطوري في الدين وتنتمي العواطف إلى حقل المشاعر الدينية، فيما تنتمي الأفعال إلى مجال العبادة الدينية أو ما يمكن تسميته بالدين[2] ، وبما أن الدين هو منظومة القيم الإنسانية يتضح لنا أن هناك علاقة تجمع بين الفن والدين من الناحية الأخلاقية.

ذلك من خلال أن الفن هو إحدى وسائل الاتصال بين الناس، كما أن الإنسان ينقل أفكاره عن طريق الكلام، فإنه ينقل عواطفه عن طريق الفن ومعنى هذا أن الفن لا يخرج عن كونه أداة تواصل بين الأفراد يتحقق عن طريق التناغم الوجداني بينهم[3]

فالفن وسيلة يترجم الفرد عن طريقها ما يجول بداخله من ابداعات فنية ومن خلالها يتواصل مع الآخر وبهذا يحدث التوازن في الطبيعة البشرية (بين غاياته ورغباته)، وهذا ما تطرق إليه جورج سانتيانا بمجموعة من الأفكار التي يبرز فيها علاقة الفن بالدين.

---

[1] رمضان الصباغ، جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003، ص235.

[2] المرجع نفسه، ص246.

[3] زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، ص14.

فأورد سانتيانا أن الديانة قد تكون تجسيدا للعقل وهي التي تقيم الفروق الأخلاقية في كل اتجاه وتجعل الحق إلى الأبد خلاف الباطل، إذ هي تفرض قرارات أخلاقية مطلقة، فالديانة تقوم بوظيفة مهمة في حياة العقل، وهي مع العقل يقومان بتحرير الأدمي وتخليصه من عوائقه ومحدودياته[1].

فسمو العقل هو أن يسمو بخياله ويعلو، بحيث يضيف إلى فكره فوق ذلك الذي حققته دنيا الطبيعة المادية أفكارا أخرى ويوفق بين الدين والفلسفة والعلم، بأن يجعل الدين والفلسفة ضرب من ضروب الشعر لا وسيلتين من وسائل الوصف العلمي لما هو واقع ولا يعني ذلك الحط من شأنهما وإنما يعني تحديد مجاليهما، وما مجالهما إلا رسم المثل العليا التي يحلم بها الإنسان ولا يجدها متحققة في عالم الواقع[2]. ومعنى هذا أننا نجد ديانات متعددة وأحيانا مختلفة في طقوسها ولكن العقل واحد لا غير، فاستعمال الإنسان لخياله العقلي الذي هو دائم البحث عن الكمال يتوصل إلى تحرير العقل من القيود.

فالديانة من حيث مقصدها فيما يورد سانتيانا هي السعي أكثر وعيا ومباشرة لحياة العقل من المجتمع ومن العلم ومن الفن.....، لأن هذه تقرب وتملأ الحياة المعنوية مترددة أجزاء ونتفا[3].

فإذا أردنا دراسة علاقة الحياة الجمالية بالحياة الدينية أمكننا استخدام الطريقتين المستعملتين في دراسة الفن وفي دراسة الدين على السواء أولهما الطريقة الاعتقادية: وهي طريقة استنتاجية وشخصية تماما تعتبر الفن والدين بمثابة معطيات ثابتة بذاتها وأن تنوعها ليس إلا تفاصيل دقيقة عابرة يستطيع كل إنسان ملاحظتها لأنها كلها ماثلة في كل ضمير

[1] رجائى عطية، قد تكون الديانة ترشيدا للعقل، عن جورج سانتيانا وكتابه حياة العقل، دار الهلال، القاهرة، ب ط، 2009، ص13-14.

[2] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، ص217.

[3] رجائى عطية، قد تكون الديانة ترشيدا للعقل، عن جورج سانتيانا وكتابه حياة العقل، ص16.

فردي أما الطريقة الأخرى فهي طريقة تاريخية تجريبية موضوعية تنظر إلى هاتين الظاهرتين في تطورهما ضمن الأوساط الاجتماعية التي أنجبتهما[1].

حيث نجد أن كثير من علماء الاجتماع يربطون بين الدين والفن، فيقولون إن الظاهرة الجمالية قد نشأت في أحضان المعبد، لأن المعبد هو الذي يعمل على ظهور أقدم الفنون البشرية جميعا ألا وهي فن المعمار، ثم ظهرت الحاجة إلى تزيين جدران المعابد بالنقوش والتماثيل والأشكال البارزة فظهر من ذلك فن النحت والرسم... إلخ[2].

من خلال هذا يتبين أن هناك علاقة وطيدة بين القيم الدينية والقيم الجمالية عبر مراحل تطور التاريخ الإنساني والذي حدد هذه العلاقة هي طبيعة المجتمع في كل عصر من العصور من خلال الوعي الجمالي الذي هو مرتبط بكل ما يدور في المجتمع، فصلة الدين والفن وثيقة بالحياة الإنسانية بدليل أنه أول ظهور للفنون كانت في المعابد التي يجتمع فيها الناس من أجل عبادة الإله، ومنه نستنتج ان الدين هو ظاهرة اجتماعية عملت على ظهور ونشأة الفن وتطوره عبر العصور.

فنلاحظ أن العبادات كانت تستلزم بالضرورة إقامة احتفالات دينية ظهرت على تعاقب فنون الرقص المقدس والموسيقى والشعر الغنائي[3]

ففي العصور الوسطى أصبحت وظيفة الموسيقى في الغرب هي خدمة أغراض الكنيسة والمساعدة في أداء الطقوس الدينية وعلى الرغم من أن هذه الوظيفة أوسع نطاقا من الوظيفة المرتبطة بالسحر، أما في العصور الحديثة حدث في الغرب تطور أدى إلى توسيع نطاق وظيفة الموسيقى، فقد انتقلت الموسيقى من الكنائس إلى قصور الامراء والنبلاء والإقطاعيين بعد أن كانت الموسيقى تابعة للكنيسة[4].

---

[1] سناء خصر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، ص287.

[2] زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، ص91.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] زكريا فؤاد، التعبير الموسيقي، مكتبة مصر، ط2، 1980، ص48-49.

فسانتيانا يرى في العلاقة بين الفن والدين أنه حتى في معرفة الحقيقة التي يجعلها أكثر الفلاسفة رزانة جوهر الرؤية الربانية، وإنما هي متعة جمالية فحينما لا تؤدي الحقيقة إلى أي منفعة عملية تصبح المتعة التي تولدها في النفوس متعة خيالية قيمتها جمالية شأنها شأن المنظر الطبيعي[1]. بمعنى أن الفلاسفة الذين يرون أن البحث عن الحقيقة أو الكمال هو أساس أو جوهر الوصول إلى الإله، فهم في الحقيقة يؤدون رؤية أو متعة جمالية عن طريق المخيلة، لأن البحث عن الحقيقة لا ينتهي إلى تحقيق منفعة عملية للفرد، وبالتالي فهو من خلال تأملاته الخيالية يجسد لذة جمالية دون وعي.

فطاعة الله بالنسبة للمسيحي مثل اتباع قوانين الطبيعة أو العقل بالنسبة للرواقي، وهي موقف له قيمته العاطفية بغض النظر عن تبريره الأصلي على أساس المنفعة والشيء الوحيد الذي يبرر طاعة الله أو طاعة العقل، أصلا هو أن هذه الطاعات هي أضمن الوسائل وأقلها ألما في نهاية الأمر لتحقيق التوازن والاتساق والوحدة بين غايات الإنسان ورغباته[2].

إن النظرة السانتيانية لثنائية الجمال والدين تكمن في أنه ليس للفن غاية في ذاته بل مثله مثل كل الأنشطة الإنسانية، فيتعلق بمشاعر الإنسان وحاجاته، ونحن لا نتعامل مع القيم الجمالية منفردة وخالصة كنوع خاص جدا له سماته المميزة الخاصة بل يصاحب القيم الأخرى للإنسان، فالشعر نبوءة ولذا توجد رابطة قوية بين الشعر والدين ووظائف الدين[3]

فيرى سانتيانا أن أعظم آيات الإبداع لم تكن نتاج فرد بل كانت نتاجا بطيئا للخيال الديني الشعري، فالتقاليد الشعبية والدينية كانت تأخذ أحد تجسيدات الطبيعة، أو ذكرى رجل عظيم فتطورها وتهذبها في شكل مثالي وتجعل منها تعبيرا عن أماني البشر وشيئا يقابل حاجاتهم، فكل قبيلة وكل كاتب للأناشيد المقدسة أضاف بورعه صفة إلى الإله وضم إلى

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص69.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، ص291.

أسطورته قصة تمثل خصاله وهكذا جمع كل شعب بخياله حول نواة وظيفة مقدسة أصلية كل تعبير ممكن عنها[1].

فعندما يجمع الفرد بين مخيلته الدينية وأشياء مقدسة ويطورها من خلال خياله باستعمال ملكة العقل، فهو بذلك يقوم بخلق أو بناء شخصية كاملة جميلة، يكون لها طابع ديني وتحمل أو تحتوي على تاريخ عميق مقدس بكل معانيه.

ولذلك نلاحظ أنه عندما نتأمل الجمال تصبح لملكات الإدراك الحسي لدينا صفة الكمال، بل إننا نستمد تصورنا للحياة الإلهية من تجريبنا للجمال والسعادة، ومن ذلك الانسجام الذي يتحقق بين آن وآن آخر ومن بعد بين طبيعتنا وبين البيئة المحيطة بنا، ولهذا فوصفنا الجمال بأنه ظهور الله للحواس قول مناسب حقا، لأن إدراك الجمال يبين لنا في ميدان الحس مثلا ذلك الكمال الذي نخلعه عادة على فكرة الله[2]. فالإنسان من خلال إدراكه الحسي للعالم الخارجي يستطيع أن يتعرف على عالم الواقع المحسوس، فمن خلال معرفته بالصفات الإلهية التي تحمل فكرة الكمال المطلق في أذهاننا والتي تملأ تفكيرنا فهو بذلك يدرك الجمال ويتأمله، ومن هنا يتبين لنا أن الطبيعة الإنسانية للفرد تحتوي على نزعة أساسية وهي إدراك وملاحظة الجمال وتقديره وتمجيده.

فالجمال هو الضمان على إمكان الاتساق والألفة بين الروح والطبيعة ثم فهو أساس الإيمان بسيادة الخير[3].

وهذا ما دفع سانتيانا إلى تساؤل ماذا يصنع الشاعر سوى أنه يصور إلى نفسه جمالا هو أصفى وأنقى من أي جمال على هذه الأرض؟ وماذا يصنع الدين سوى أن يصور لنفسه خيرا كاملا في إله يعبده[4].

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص255.

[2] المصدر نفسه، ص47.

[3] المصدر نفسه، ص354.

[4] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، ص213.

فمن خلال هذا التساؤل يبين لنا فيلسوفنا أن هدف كل من الجمال والدين هو الوصول إلى الكمال فالهدف بينهم مشترك وهذا ما جعل الرابطة بينهما وثيقة الصلة.

وهكذا طبيعتنا تقوم على أساس مشترك عريض بفضله نعيش في عالم مشترك ولنا فن مشترك ودين مشترك، وطالما نحن نعيش وندرك أنفسنا أفرادا كأشخاص أو كجنس بشري فلا بد أن ندرك أيضا مثلنا الأعلى الكامل، وذلك المثل الأعلى الذي يعني تحقيقه الكمال لنا والذي لا يمكن هدمه إلا بانقراض الجنس البشري[1]. ومنه لا يمكن فصل هاتين القيمتين عن بعضهما البعض ولا يمكن تفضيل أو التمييز بينهم فمصدر الجمال والدين واحد وهو مصدر سماوي. والفرد في حاجة لهما والحياة البشرية توجدهما معا،

ففي معيشتنا يملأنا إحساس عام بالغنى والثبات والطمأنينة وربما كان هذا الإحساس هو لب السعادة، وليس تأثير المعرفة والمحبة والدين والجمال تأثيرا متقطعا لأنه لا يحس به طوال الوقت، وإنما هو ينتشر في أنحاء العقل كما ينتشر العطر حتى في اللحظات التي لا يعي المرء فيها[2].

ومن هنا نستنتج أن سانتيانا لا يرى أي تنافر بين الدين والفن بل على عكس ذلك فهم نشأوا مع الإنسان منذ العصور البدائية حيث كان الدين عبارة عن طقوس وشعائر تحتوي على الشعر والموسيقى بحيث كانت تحمل الاحتفالات الدينية الرقص المقدس وبتطور الإنسان وهذه المجتمعات تطور الفن من خلال ملكة العقل، وبسمو العقل وسمو مخيلتيه سار بهما إلى البحث عن الحقيقة أو معرفة المثل الأعلى (العليا) التي لم يجدها الإنسان متحققة على أرض الواقع.

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص350.

[2] المصدر نفسه، ص348.

الفصل الثالث: العلاقة بين الأخلاق والجمال.

- ✓ **<u>المبحث الأول</u>: القيم الأخلاقية والقيم الجمالية.**
- ✓ **<u>المبحث الثاني</u>: العمل الفني والحياة الإنسانية.**

المبحث الأول: القيم الأخلاقية والقيم الجمالية.

يشغل الاهتمام بالجمال والأخلاق محورا رئيسيا في محاور التفكير الإنساني وتمثل العلاقة بينهما سواء في مجال التفكير الجمالي أو مجال القيمة بصفة عامة أعمق المشكلات وأعقدها ويفسر هذا ما نراه من أراء متضاربة وأقوال متباينة حول هذه العلاقة[1].

ومن هذا الطرح القائم بين الاخلاق والجمال وأهمية هذين المحورين في حياة الإنسان سنتطرق إلى دراسة هذه العلاقة من جانبين أولا جانب الارتباط ثم ثانيا جانب التعارض أو التمايز بين هذين القيمتين، وذلك من خلال أراء وأفكار جورج سانتيانا، التي قدمها في دراسة العلاقة بينهما وعليه سنتحدث عن:

أولا: جانب الارتباط

يرى سانتيانا أنه يجب أن نضع الأحكام الجمالية والخلقية في معيار واحد مميزين بينهما وبين الاحكام العقلية، فالأحكام الجمالية والخلقية أحكام قيمة، على حين أن الأحكام العقلية أحكام واقعية، وإذا كان لها قيمة فإنها تستمدها من غيرها، فالمسوغ الوحيد للحياة العقلية بأسرها هو ارتباطها بلذاتنا وآلامنا[2]. لإن الأحكام الجمالية والأخلاقية تحتوي على قيم غير موجودة في أرض الواقع، وإنما الانسان هو الذي يصنعها ليستطيع خلق نوع من التوازن في المجتمع الذي يعيش فيه ليحصل على السعادة، ولهذا فهي قيم تختلف عن الأحكام العقلية، لأن الاحكام العقلية الذي يصنعها هو العقل وليس الانسان.

لذلك فإن سانتيانا يجد أنه يجب التمييز بين هذه الاحكام فأحكام العقل تختلف عن الاحكام الجمالية والخلقية معا، فالأولى مدارها الوقائع والثانية مدارها القيم التي يضيفها الانسان إلى تلك الوقائع[3].

---

[1] رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الأخلاق والجمال، ص05.

[2] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص61.

[3] المصدر نفسه، ص27.

ومنه يبين لنا سانتيانا أن هناك عالمين: عالم الممكنات وعالم الوجود المادي الفعلي كما هو قائم، على ألا ننسى أن هذا العالم الفعلي إن هو إلا جزء من عالم الممكنات قد انتقل إلى التحقق بالفعل، فنشأ بهذا الانتقال ما نسميه بالعالم الحقيقي أو بعالم الحق، ومن هذه العناصر يبني الإنسان لنفسه عن طريق خياله وصور أخرى كان يتمنى أنها موجودة عالم سماه سانتيانا بعالم الروح وفي هذا العالم الروحاني يحيا رجل الدين حين يتصور عالما أمثل وأكمل، ويحيا رجل الفن حين يبدع صورا تفتن نفسه دون أن يستمدها من الواقع، كما يحيا رجل الأخلاق حين يتصور خيرا أسمى وأعظم مما يعرفه عالمنا الواقع[1]. فمن خلال عالم الروح يستطيع الانسان أن يجسد أفكاره التي لم تكن موجودة على أرض الواقع والذي يعتمد فيها على مخيلته، وهنا تظهر القيم التي يضيفها الانسان إلى واقعه.

فإذا كان الانسان لا يقتنع بوجوده ووجود العالم من حوله على نحو ما هو كائن فبوسعه بالفن أن يحقق وجوده الذي يحس أنه لم يكتمل تحققه بعد[2].

ولهذا فإن سانتيانا يفصل قيمة الحق عن قيمتي: الخير والجمال لأنه يرى أن قيمة الحق تختص بعالم الواقع الفعلي، فلا نصف الشيء بأنه حقيقي إلا إذا كان واقعيا تراه العين وتلمسه اليد، أما قيمتي الخير والجمال لا تظهران في الواقع ظهورا فعليا، إذ أن كلاهما يتصورهما الانسان بخياله ليرسم بهما مثلا أعلى يستريح له في أحلامه، ما داما لا يتحققان في دنيا الواقع[3]. وهذا ما يولد للإنسان نوع من الراحة والطمأنينة فهو في حاجه دائمة لهتين القيمتين (الخير والجمال) ليصنع بهما موضوع من خلال تأمله، فمن خلالهم يستطيع الفرد أن يحقق نوع من الرضى والمتعة والسرور في واقعه الذي يحياه.

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص21.

[2] صلاح قنصوة، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ب ط، 1981، ص239.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص22.

لهذا فإن سانتيانا يتساءل لماذا نطلب من الخير والجمال أن يغيروا من طبيعتيهما ليصبحا واقعا من الواقع؟ كأنما يراد بهما أن ينقلبا حقا فالخير ليس حقا والجمال ليس حقا فالجمال والخير معا اتفقا في كونهما معا مما تتعلق به الأوهام والأحلام دون الواقع[1].

فالجمال والأخلاق عند سانتيانا يمثلان الجانب الإنساني ويتميزان بالذاتية، أما الحق فهو يمثل الجانب العقلاني ولذلك فهو يتميز بالموضوعية، لهذا فهما عكس بعضهما البعض فلا يمكن أن نطلب من الجمال والأخلاق أن ينقلبا حقا، لأننا نتكلم عن الذاتي والموضوعي إذا صح التعبير.

وهنا يأتي دور العقل الإنساني وما يصنعه بذكائه فمن مهامه أن يزيل عنا هذا الخلط والصواب أن نفرق بين القيم ولا نجعلها جميعا من صنف واحد وطراز واحد، فقيمة الحق تتجسد في عالم الطبيعة، أما قيمتا الخير والجمال فهما من عالم الروح[2].

وما قد يعيننا أكثر على زيادة فهم ما بين علم الجمال وعلم الأخلاق حين يتخذ اللذة أساسا له، ما بينهما من علاقات، وعلى توضيح عملية تحويل الإحساس إلى موضوع[3].

إن لذاتنا جميعها قيم ذاتية، بمعنى أن قيمتها تحملها في ذاتها ولهذا فهي أساس كل من الأخلاق والجمال، فاللذات في علم الجمال هي عبارة عن إحساسات تترجم إلى موضوع. ومنه يقول الفرد عن هذا الموضوع أنه جميل لأنه يبعث في نفوسنا السرور والارتياح والفرح.

حيث نجد أن سانتيانا يشير إلى أن الجميل هو في حقيقة أمره نوع من التقدير الموضوعي للذة أو السرور[4]. ولهذا فإن الجمال عنده هو التجسيد الموضوعي للذة، ويري أننا في الأخلاق ننشد اللذة على نحو طبيعي مباشرة بعد أن ننتهي من عملنا في الحياة

[1] زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، ص215.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص109.

[4] محمد علي أبوريان، فلسفة الجمال ونشأت الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ط، 1989، ص59.

لأنه أهم ما تتسم به اللذات هو أننا نحس بالحرية والتلقائية حينما نستمتع بها[1]. فسانتيانا يربط جوهريا بين الأخلاق والجمال، فلذاتنا هي صفة ذاتية في كل فرد تحمل صفة خيرة يسعى الإنسان دائما إلى تحقيقها من أجل سعادته، لأن سعادة الإنسان في الحقيقة تتكون من متعة جمالية.

فأصحاب مذهب اللذة الأخلاقي يرون أن الناس ينبغي أن ينشدوا على الدوام لذتهم فاللذة وحدها هي خير في ذاته ولا شيء سواها يحمل في ذاته قيمته[2]. ومنه يؤكد سانتيانا على أنه لا يدخل في نسيج الجمال إلا كل ما هو خير[3]. فالعلاقة بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية وثيقة الصلة وهذا ما دفعه إلى تأسيس وإقامة أخلاق جمالية تنشد الحرية من دون أي قيود أو حدود وتهدف إلى تحقيق سعادة الانسان.

فمن خلال ما سبق كنا قد ذكرنا العلاقة بين الجمال والأخلاق من جانب الارتباط بينهما وظهر ذلك جليا من الأفكار التي طرحها سانتيانا.

ثانيا: جانب التمايز.

حيث يذكر سانتيانا في كتابه الإحساس بالجمال أن العلاقة وثيقة الصلة بين الأحكام الجمالية والأحكام الأخلاقية، بين ميداني الجمال والخير، غير أن التمييز بينهما هام، وأحد عناصر هذا التمييز هو أن الأحكام الجمالية إيجابية أساسا، والأحكام الأخلاقية سلبية وعنصر آخر من عناصر التميز هو أن الحكم في حالة إدراك الجمال ينبع بالضرورة من ذات الموضوع، ولا يستند على أي منفعة التي قد تنتج من التجربة، أما أحكام القيمة الخلقية فإنها حينما تكون إيجابية تقوم على الادراك الواعي للفائدة التي تترتب على التجربة[4].

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص63.

[2] توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1953، ص22.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص344.

[4] المصدر نفسه، ص52.

وهنا نرى أن سانتيانا يفصل بين الأحكام الجمالية والأخلاقية من خلال أن الحكم الجمالي وظيفته تتعلق بالمتعة وهو يعبر عن عالم الحرية والاستمتاع وبعيد كل البعد عن السعي وراء أي منفعة بل هو يأتي بصفة مباشرة على عكس الحكم الأخلاقي، فوظيفته تتعلق بالهروب من الشرور والابتعاد عن الألم والنفور منه، والسعي وراء الخير، كما أنه ينشد المتعة فهو يأتي على إدراك واعي للفائدة التي تترتب على التجربة وهو عالم يعبر عن الإلزام والواجب.

فسانتيانا حريص كل الحرص على التعبير بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية، فنراه يقرر أولا أن القيم الجمالية قيم إيجابية تمدنا بلذات حقيقية، في حين أن القيم الأخلاقية قيم سلبية تقتصر مهمتها على اجتناب الآلام ومحاربتها، ولهذا يقرر سانتيانا أن الإحساس بالجمال إنما هو إحساس بوجود خير إيجابي تماما فهو يفرق بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية كالفارق بين اللعب من جهة والعمل من جهة أخرى وكالفارق بين اللذة والإلزام[1].

سانتيانا استخدم لفظي: العمل واللعب ليعبر بهما عن مدى التمييز بين الأحكام الأخلاقية والجمالية، فهما لفظان متضادان تماما فالعمل هو فعل لازم وضروري في الحياة كما يعتبر أنه فعل نافع بمعنى يأتي على غرار تحقيق منفعة في هذه الحياة، لهذا فإننا نجد العمل في جوهره يقوم على الجدية ويقوم على الواجب والإلزام، أما اللعب فهو يعتبر فعل يعمل على إفراغ طاقة ما أو شحنات تواجهنا في الحياة لا تحمل أي ضرورة أو إلزام فهو فعل يقوم على الاستمتاع والحرية، هذا ما جعله لا يأتي بأي نوع من المنفعة لأنه في جوهره عمل غير جاد.

وهذا ما خلق في نظر سانتيانا سمة ثانية تميز القيم الجمالية عن القيم الأخلاقية، وتلك أنها مكتفية بذاتها، دون أن تكون مطلوبة لغاية وراءها، فالقيم الجمالية إنما تحمل قيمتها في ذاتها في حين أن ما عاداها من قيم هي مجرد أدوات أو وسائط تطلب في العادة لغايات أو

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص61-62.

مقاصد بمعنى هذا أن ثمة ضرورات عملية هي التي تخلع على النشاط الأخلاقي كل ما له من قيمة، في حين أن قيمة النشاط الفني مستقلة تماما عن شتى الظروف[1].

ولهذا الاختلاف بين الخير والجمال كان من غير الجائز أن نخلط بينهما خلطا يجعلنا نتطلب من الجميل أن يكون خيرا أو من الخير أن يكون جمالا وما أكثر ما نرى الفنان وهو الذي يصور الجمال على خلاف مع الأخلاقي، فنرى هذا ينقد ذاك قائلا أن فنه لا يؤدي إلى الفضيلة، فالجمال قيمة وللخير قيمة ، والقيمتان مختلفتان فيما بينهم كما انهما في جانب معا مختلفان على قيمة الحق[2]. فنلمح هنا أنه توجد فروق بين القيم، ذلك لأنها في جوهرها مختلفة عن بعضها البعض، فطرقها المختلفة تماما لا مجال إلى أن تلتقي، فعلاقة الفنان بالأخلاق هي علاقة انفصالية لأنهما ضد بعضهما البعض فهما يمثلان الذاتي والموضوعي والداخلي والخارجي.

لذلك يرى سانتيانا أن الذين تستهويهم النظرية التي تقول إن الجمال في جوهره ليس إلا تعبيرا عن الخير الخلقي أو العملي فهذه النظرية بعيدة عما يجربونه في أذهانهم التي انحرفت في هذه الناحية وفضلا على ذلك يلاحظ سانتيانا أن الأخلاقيون ينزعون إلى انتقاد آثار الفنون أكثر من تذوقهم لها[3]، فهو يصرح هنا بأنه توجد نوع من العبودية في المذاهب الأخلاقية لأنهم يسيطرون على الأفراد في آرائهم وأفكارهم، ومنه نجده يعارض هذه المذاهب التي تفرض سلطتها وتكبح الجمال.

وهكذا نصل إلى عنصر آخر في التمييز بين الاحكام الجمالية والأحكام الأخلاقية وهو ما في القيم الجمالية من صفة مباشرة ، فإذا حاولنا أن نستبعد من الحياة كل ما فيها من شرور كما حاول عامة الناس بخيالهم أن يفعلوا أحيانا، فإنه لن يتبقى فيها سوى اللذات الجمالية التي تتألف منها السعادة الخالصة، فالعواطف والشهوات نفسها التي تبعث على

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص61.

[2] زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، ص158.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص292.

الرضا والتي نجد فيها السعادة في هذه الدنيا إنما تتخذ لونا جماليا حينما نتصورها ثابتة غير قابلة للضياع أو التغيير[1]، فالقيم الجمالية تحمل كل ما يبعث أو يحث على السعادة والتي يلجأ إليها الناس بخيالهم للهروب والابتعاد عن الشرور، فعندما يهرب الفرد من هذه الشرور لن يحصل سوى على المتعة الجمالية التي تحقق له السعادة وتوجد بصفة ثابتة غير قابلة للتغيير.

ومن هنا يرى سانتيانا أننا نستطيع أن نميز عناصر ثلاثة مختلفة في كل من الأخلاق والجمال وطرق ثلاثة متباينة في تناول الموضوع، فالعنصر الأول هو نشاط الملكة الخلقية أو الجمالية ذاتها، وليست هذه المسالة علم وإنما هي مسألة تعتمد على الشخصية وعلى الحماسة ودقة التميز وإرهاق الشعور، هذا هو النشاط الجمالي أو الخلقي في حين أن الأخلاق والجمال بوصفهما علمين هما نشاط عقلي موضوعه النشاط الجمالي أو الخلقي[2].

أما الطريقة الثانية تتلخص في التفسير التاريخي للسلوك أو الفن بوصفه جزءا من علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) في محاولة اكتشاف الظروف التي تخلق نماذج الشخصية المختلفة وشتى أنواع السياسة ومفهومات العدالة ومدارس النقد والفن، حيث ينتمي جزء كبير مما كتب في علم الجمال إلى هذا النوع من التفكير[3].

أما الطريقة الثالثة في تناول الاخلاق والجمال فهي طريقة سيكولوجية، على حين أن الطريقة الأولى تعليمية والثانية تاريخية، فهي تتناول بالدرس الأحكام الخلقية والجمالية بوصفهما ظواهر عقلية ونتاجا للتطور العقلي، والمشكلة هنا هي مشكلة فهم مصدر هذه المشاعر وظروفها وعلاقتها بكل تركيبنا، وإن نجحنا في بحثنا هذا سوف نفهم السبب الذي

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص68.

[2] المصدر نفسه، ص41.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يجعلنا نقول بأن الشيء خيرا أو جميل وسوف تتضح لنا أسس الضمير والذوق في الطبيعة البشرية[1].

ومن هنا يجب القول إن هذه القيمتين (القيمة الجمالية والأخلاقية) هما جانبان يمثلان علاقة الإنسان بالواقع، ولكنهما يختلفان عن بعضهما من ناحية أن الأحكام الأخلاقية تعبر عن الخير والشر والعادل والظالم والواجب والشرف... إلخ، بمعنى عن الأفعال التي تصدر عن الإنسان من سلوكه، أما الأحكام الجمالية فهي التي تدعم الفرد نحو التحرر والاستمتاع وتدفعه على الإبداع الجميل ونضاله ضد القبيح.

فسانتيانا يرى أن علم الاخلاق وعلم الجمال قد قاسا كثيرا نتيجة التحامل ضد ما هو ذاتي ، بل كان من الممكن لهما أن يقاسيا أكثر مما قاسيا لو لم تكن مادتهما تحتوي شيئا موضوعيا من بعض وجوهه، فموضوع علم الأخلاق إنما هو السلوك بقدر ما هو العواطف ولذلك فهو علم يهتم بدراسة علل الأحداث و النتائج المترتبة عليها، كما يهتم بدراسة أحكامنا القيمية عليها، أما علم الجمال فغالبا ما ينزع إلى أن يدخل في نطاقه تاريخ الفن وفلسفته كما ينزع إلى إضافة كثير من الوصف والنقد إلى ما فيه من تفكير نظري عن تأثرنا بالجمال ولهذا ينتج بعض الخلط في هذه البحوث[2].

وهنا سانتيانا يحاول أن يحل النزاع الموجود بين القيم الجمالية والقيم الخلقية بجعلهما وجهان لعملة واحدة غير منفصلتين، من خلال تأكيده على أن القيم الجمالية والأخلاقية كلتاهما تحتوي على جانب موضوعي ويمثل هذه الموضوعية المجتمع والناس وبالتالي ينتج بينهما نوع من الترابط. إذا كانت وجهة نظر سانتيانا في الإحساس بالجمال قد بقيت مشوبة بالطابع السيكولوجي، فإننا نراه يتخذ في "العقل في الفن" وجهة نظر الفيلسوف الأخلاقي الذي يهتم بتحديد وظيفة الفن في الحياة الإنسانية عموما[3].

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص42.

[2] المصدر نفسه، ص40.

[3] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص59.

فسانتيانا يركز في العلاقة بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية على الترابط بينهما أكثر من تركيزه على الانفصال بينهما، من خلال أنهما يحتويان على الجانب الموضوعي ويرى أن الإيجابية والسلبية هما شرطان أساسيان يقوم عليهما الجمال والأخلاق فلا يمكن أن يتحقق الخير إلا من خلال معرفة الشر.

وهكذا فإن القيم التي نعنى بها في ميدان الجمال قيم إيجابية، في حين وجدنا أنها كانت سلبية في ميدان الأخلاق، ولا نكاد نستثني من ذلك القبح، لأن القبح ليس مصدرا للألم الحقيقي، بل أنه في ذاته مصدر تسلية وإذا أوحى القبح بمشاعر نفور تهدد الحياة فإن وجوده في هذه الحال يصبح شرا حقيقا، وبالتالي تجدنا نأخذ منه موقفا عمليا خلقيا، وكذلك فإن الجميل الذي يبعث على اللذة لا يكون ابدا كما رأينا موضوع أمر خلقي حقيقي[1]. فالمتعة الجمالية تحمل الشيء الجميل والقبيح والأخلاق تحمل الخير والشر فالعلاقة بينهما تحمل الموجب والسالب.

والتربية الجمالية بلا شك الوسيلة الناجحة التي يتسنى لنا عن طريقها أن ننتقل من أخلاق جزئية محدودة، إلى أخلاق كلية، إذ تحيا نفوس الآخرين في أعماق ذواتها لا بوصفها مجرد انعكاسات لأذواقنا الخاصة ورغباتنا الشخصية، بل بوصفها تجارب نشارك فيها من الداخل فنستطيع عن هذا الطريق أن ننفذ عوالم نفسية مغايرة لعالمنا الشخصي، ولا شك أن الإشعاع الروحي الذي يتحقق عن طريق الأعمال الفنية إنما هو مدرسة أخلاقية كبرى، نتعلم فيها التعاطف والتناغم والمشاركة الوجدانية[2].

ففي ختام هذه العلاقة نرى أن الفن عند سانتيانا يساهم في الحياة الأخلاقية، لأن الأسس الجوهرية لسعادة الإنسان هي أن يجد الرضا في واقعه وفي خياله، فهو يرى ان الترابط بينهما وثيق الصلة أكثر من التمايز وهذا واضح من خلال الأفكار والآراء والأقوال التي طرحها.

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص64.

[2] زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، ص180.

المبحث الثاني: العمل الفني والحياة الإنسانية.

إن العمل الفني لا بد أن يكون أساسه الشخصية الإنسانية الكاملة، ولما كان كمال هذه الشخصية فيما تتحلى به من أخلاق، أي في الشعور الخلقي لذلك فإن مؤرخي الفن وفلاسفة الجمال يرون في الأخلاق أو في الضمير الأخلاقي أساسا للفن[1]، فلولا وجود الإنسان وكمال شخصيته التي تنطوي علي الخير والشر وما تتصف به من ذاتية وما تتميز به من قيم جمالية أساسها النشوة وقيم أخلاقية أساسها الفضائل لما حقق الإنسان التوازن بين أفكاره وأفعاله فمن خلال هذا التوازن يضمن لنفسه النجاح والسعادة والرضا.

فنجد أن أبسط الصيغ الفنية هي الكتابة (الخط)، فالخط أثر في بديع نصفه بالجمال أو بالقبيح، وهو أيضا أداة اجتماعية أساسية للتفاهم بين الناس وإذا كان مكتوبا أو مقروءا يصبح أداة لنقل العلم والحضارات عبر الأجيال، وكذلك الغناء والرقص والرسم والنحت فكل هذه الاعمال الفنية ذات صلة في أسلوبها الفني، ففي كل ناحية من نواحي الأنشطة الإنسانية يتدخل الفن فيعطي لمسة جمالية وفنية لأنه من آثار النشاط الإنساني[2].

إن سانتيانا يجمع بين العمل الفني ووظائف الأنشطة الإنسانية الأخرى من خلال قوله " أن قيمة العمل الفني تزداد بنجاحه في مخاطبة مواضيع الاهتمام الإنساني، وليست مواضيع الاهتمام هذه جمالية في ذاتها إلا أنها تساعد على التركيز والانتباه وتوفر المادة اللازمة للفنون كما تزيد من قوة التذوق الجمالي وهكذا ففهم عاطفة الحب لازمة لتذوق كثير من الأغاني والمسرحيات والروايات وطائفة غير قليلة من التآليف الموسيقية ونتاج الفنون التشكيلية"[3]، فالفنان هو إنسان يعيش في وسط اجتماعي يتأثر ويأثر فيه، فالنظم الاجتماعية ترجع إلى الغرائز والعادات والتقاليد وهذه النظم لا تحمل صفة جمالية مباشرة إلا أنها ذات

---

[1] محمد علي أبوريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، ص153.

[2] المرجع نفسه، ص154.

[3] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص108.

أهمية كبيرة وهذا ما يجعلها تلعب دورا كبيرا في بعض الفنون الأخرى فهي بطريقة تلقائية وبدون إصرار من الفنان تزيد من قيمة العمل الفني ونجاحه.

فيرى سانتيانا أنه لابد لأفكارنا عن العمل والطموح والشهوة والغضب ان تمتزج بتأملنا وأن تخلع تعبيراتها المختلفة على تلك الموضوعات التي ترتبط ارتباطا وثيقا في تجربتنا ومن ثم يصبح الجمال يتضمن قيما من أنواع أخرى[1].

معنى هذا أن الانسان لا يمكن أن يقف من الأشياء موقف المرآة التي تعكس صور الأشياء، بل هو لابد من أن يشارك في مجرى الأحداث بكل ما لديه من اهتمامات وانفعالات ومن هنا فإن الموجود الأخلاقي ليس مجرد إنسان عارف يملك علما مجردا بماهية الخير والشر بل هو أيضا إنسان عامل يملك إحساسا مرهفا بالقيم يسعى جاهدا في سبيل المشاركة في تحقيقها[2].

فالفنان شخصية إنسانية تتميز بحس مرهف يشعر من خلاله بقيم الخير والجمال والشر والفضيلة والرذيلة، وهذا ما أدى الى الذاتية في العمل الفني فهو لديه حاجيات داخلية بحاجة إلى تجسيدها ومشاركتها ولهذا فهو يمزج بين عواطفه وأحلامه وتأملاته الداخلية وبين العمل الفني الذي يقدمه ولذلك فإن الذاتية تمثل شرط من شروط العمل الفني.

فالعمل الفني هو بمعنى من المعاني تحرير الشخصية إذ تكون مشاعرنا بصورة طبيعية مكبوتة مضغوطة، فإننا نتأمل عملا فنيا فنشعر بشيء من التنفيس عن مشاعرنا بل إننا نشعر بنوع من العظمة والتسامي[3].

ومنه يتبين لنا أن الشعور أو الإحساس الذي يقوم عليه العمل الفني ليس منعزلا على الأنشطة الإنسانية بل هو شعور يحتاج إلى كل ما يحمله الانسان من أفكار وطموح ورغبات وأفعال، بالإضافة إلى أن الفنان لا يستطيع أن يعيش في عزلة عن الحياة والبيئة الإنسانية

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص281.

[2] زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1969، ص56.

[3] هربرت ريد، معنى الفن، تر، سامي خشبة، مكتبة الأسرة، ب ط، 1998، ص23.

المحيطة به وإلا ما كان لفنه الذي صنعه أي قيمة سوى مجرد انطباعات خيالية لا تحمل أي محتوى.

إن النشاط الإبداعي هو تجسيد لأفكار الفنان ودوافعه ومقدراته وقيمه واتجاهاته وخبراته وتراثه وسمات شخصيته وتفصيلاته وأنماط إدراكه وتفسيره وهو يعبر عن أماله وطموحاته ممتزجة أمال وطموحات وتشوقات اجتماعية وإنسانية مرتبطة بالرباط الجمعي يتم ذلك من خلال الوسيط الفني[1]، فالرابطة عميقة بين العمل الفني ومظاهر الحياة البشرية الأخرى والنشاط الإبداعي ليس مستقل استقلالا تاما عن شتى أو مختلف الأنشطة الإنسانية الأخرى.

وبهذا فإن سانتيانا ينفي أن النشاط البشري والفن نشأ مستقلين عن أوجه النشاطات البشرية الأخرى، بل إنهما نشآ مترابطين لتحقيق القيمة الجمالية والعملية والنفعية، فهو يعرض في كتابه لتطور الفن في حياة الإنسان فيذكر أن المحاولات الفنية الأولى لم تكن مجرد محاولات عشوائية، بل إنها تولدت عن نشاط موجه من الإنسان كان يهدف من ورائه إلى الشعور بالمتعة وإشباع حاجاته وهكذا مهد الإنسان في سبيل التعبير عن نفسه وإشباعها لتحقيق قيمه الدينية والأخلاقية[2].

لهذا فإننا نجد الارتباط في مختلف أنواع الفنون سواء كانت رسم، نحت أو رقص أو موسيقى فكل نشاط فني يعبر عن حقبة مجتمع ما يعيش فيه هذا الفنان، فمثلا الموسيقى هي دائما فن إنساني قبل كل شيء بمعنى أنها فن مرتبط بحياة الإنسان الواقعية، وبصراعه خلال هذا الحياة، فمن المحال أن نفهم موسيقى أية فترة من الفترات إلا إذا عرفنا كيف كان الناس يعيشون فيها، وماذا كانت نظرتهم إلى الحياة وإلى العالم وإلى المجتمع[3]. فالعمل الفني

[1] مصطفى عبده، المدخل إلى فلسفة الجمال (محاورات نقدية وتحليلية وتأصيلية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999، ص164.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص51.

[3] فؤاد زكريا، التعبير الموسيقي، ص17.

يعبر عن مجتمع في فترة ما، عن طريق الفنان الذي يجسد صراع هذا المجتمع من خلال نشاط فني يعالج فيه الأفكار الموجودة في الواقع الذي يعيشون فيه.

ومنه يتوقف سانتيانا عند فنون اللغة من الشعر والنثر لكي يحدثنا عن صلة الشعر بالحقيقة ووظيفة اللغة في الشعر كما يحدثنا عن فن الموسيقى وصلته بحياة العقل فضلا عن إسهامه في الحديث عن الفنون التشكيلة وصلتها بالمثل الأعلى الكلاسيكي[1].

فيرى أنه في فن الشعر نجد للمشاعر الاجتماعية والنظم الاجتماعية دورا كبيرا، ففي هذا النوع من الفن لا يتوقف التأثير على الحواس بقدر ما يعتمد على المعنى، فما من وظيفة من وظائف طبيعتنا البشرية لا تستطيع أن تضيف شيء إلى هذه الجاذبية، إلا أن الوظائف تتفاوت كثيرا في مدى الخدمة المباشرة التي تؤديها في هذا الصدد، فمثلا لذات البصر والسمع والمخيلة والذاكرة هي أكثر اللذات قدرة على التحول إلى موضوعات[2]، فالفنان هو الذي يخلق الصورة الفنية من خلال معرفته بالحياة ومظاهرها، فيعكس الواقع في عمل إبداعي يشبع به حاجيات الناس الجمالية عن طريق أعمال جميلة يمكنها أن تجلب السعادة والسرور للإنسان، لذلك فالتصورات الجمالية ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الجماعة ونشاطهم الإنتاجي ومعيشتهم، ومنه فإن إبداعهم الفني يكون نابع من تلك التصورات.

فيقول سانتيانا أن الإنسان حيوان اجتماعي أولا وتكاد تكون حاجاته الاجتماعية في أهمية وظائفه الحيوية بل أنه أكثر وعيا بها منه بوظائفه الحيوية ولا ريب أن العناصر الأساسية للسعادة هي الصداقة والغنى والشهرة والسلطان والنفوذ بالإضافة إلى الحياة العائلية[3] .

يتضح من خلال هذا أن العمل الفني الذي يقدمه الفنان هو انعكاس للحياة الواقية للإنسان والحياة الاجتماعية في العصر الذي يعيش فيه، فهو تعبير عن جهد إنساني في

---

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص76.

[2] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص108.

[3] المصدر نفسه، ص109.

التغلب عن ظروف طبيعية، ومحاولة الاندماج بين الطبيعة والخير، ففلسفة سانتيانا الجمالية تتضمن التعبيرات الفنية وتقدير للجوانب الجوهرية في حياة العقل على أرض البرجماتية وذلك لإسهامهم في الحياة الأخلاقية ، فالفن لكي يكون ناجحا لا بد أن يتعلق بحياة العالم من خلال الوظائف العملية[1]. فالفن عنده على اتفاق تام ومباشر مع انجازات ومختلف مظاهر الحياة، فهو يرى أن جميع الفنون تولدت في الإنسان عن طريق الغرائز ووجدت معه بتلقائية منذ العصر البدائي.

حيث نجد أيضا فلاسفة الاخلاق يؤيدون هذا التوافق، حينما يتحدثون عن ترقي الحياة الخلقية فإنهم في العادة يشيرون إلى مستويات ثلاثة، مستوى "الغريزة" الذي في سلوكه الخير هو السلوك الذي تحدده حاجاته وغرائزه الأصلية ومستوى "العرف" أو العادات والذي يكون فيه سلوك الخير عند الفرد متفقا مع ما تقتضيه الجماعة ومستوى "الضمير" الذي يكون فيه السلوك الخير لدى الفرد هو الذي يرتضيه حكمه الفردي على الصواب والخطأ أو الخير والشر[2].

فالفرد ينتقل من مستوى الإتباع إلى مستوى الإبداع، فهو يعمل على المحافظة على المعايير التي يقوم عليها مجتمعة بطريقة تلقائية فيما تحمله من عادات وتقاليد و سلوكيات فهو يكون في مرحلة الإتباع فقط، لكن هذه المرحلة لا تمنعه من التقدم والتطور، فالفرد في حاجة إلى الاستقرار والتوازن وهذا ما يدفعه إلى الابتكار والإبداع، وبالتالي فإن مهمة الفيلسوف في الجانب الأخلاقي تحمل اتجاهين: اتجاه يعمل على تذكير الفرد بعاداته وبماضيه وجانب يعمل على فتح آفاق الإبداع والتطور وبهذا يحدث التوافق بين الأعمال الإبداعية التي يقدمها الفرد وبين مطالبه الإنسانية.

هذا ما دفع سانتيانا إلى القول إنه لا يوجد عجز في القوى الإنسانية أكثر تعارضا مع الطبيعة الإنسانية ومع الحياة السليمة من عجز الخيال الخلقي إذ أننا لنا ملكات وعادات

[1] سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، ص267.

[2] زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، ص95.

ودوافع هي الأسس التي تقوم عليها مطالبنا وهذه المطالب على الرغم من اختلافها تؤلف معيارا جوهريا دائما للقيمة نحس ونحكم طبقا له[1].

إن عجز المخيلة عند الإنسان مثل عائقا كبيرا في التوافق بين الطبيعة الإنسانية والحياة السلمية، وذلك يكون بعدم مقدرة الخيال على خلق أو إبداع أشياء جديدة تتماشى مع مطالبنا وعاداتنا فيحدث لطبيعة الإنسانية عجز يمنعها من عدم التوازن وبهذا يصبح الإنسان يشعر بعدم الاتزان وبالنقص وبالتالي لا نستطيع أن نحكم على الأشياء الجميلة ولا على الأشياء النبيلة فتصبح الحياة غير سليمة وتتميز بنوع من النقص.

لهذا فسانتيانا يقول دائما أنه حينما اكتشف أسمى جمال في الطبيعة وحاز الفن على أعظم انتصاراته في أكثر اللحظات الإنسانية سعادة، حينما اتحد العقل الإنساني والعالم تعانقا لفترة وجيزة[2]. فعندما يحدث التوافق بين العقل الإنساني ومطالبه ورغباته وعاداته فإنه يسجل أعظم انتصاراته من خلال عمل فني يكون في قمة الإبداع، وهذا ما يحقق للإنسان السعادة، فعندما يشعر الإنسان بوصوله إلى الكمال في الحياة الطبيعة وعدم وجود نقص فيها، يعيش حياة سليمة.

لذلك فإن المهم بالنسبة للفن هو الكشف عن الدور الذي يقوم به في حياة الإنسان باعتباره مظهرا من مظاهر الوجود البشري فإننا إذا أردنا أن نقف على ماهية الفن كان علينا أولا وقبل كل شيء أن نكف عن اعتباره مصدر لذة، لكي نحاول دراسته باعتباره وسيلة من وسائل الاتصال بين الناس[3]، فلولا الوجود الإنساني في الحياة الطبيعية والدور الذي يشغله لما كان للفن أي قيمة أو أي دور، باعتبار أن الفن وسيلة تواصل وترابط بين الناس والشعوب والحضارات، فالفن هو الواسطة بين الأنا والآخر، أكثر من هو مصدر لذة للإنسان فقط.

---

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص345.

[2] المصدر نفسه، ص344.

[3] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص60.

ويساند هذا الطرح "تولستوي" حيث يعتبر أن الفن شرطا جوهريا للحياة الإنسانية ويعرفه بأنه نشاط إنساني يستخدمه الأفراد في نقل مشاعرهم من الواحد إلى الآخر ولهذا فإن الفن عامل هام من عوامل توحيد البشر ومساعدتهم في تحقيق المثل العليا، ومن ثمة فيتعين أن يكون هذا الإنتاج الفني مقبولا ومفهوما لديهم[1]. فالعمل الفني يمثل نشاط من أنشطة الوعي الإنساني فهو يعكس الواقع وهو الذي يعرفنا على جمال الحياة حيث نجده يتطور مع تطور المجتمع ولهذا لا يمكن عزله عن المجتمع لأنه يمثل العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

حيث أن الفن يؤدي بنا إلى الاتصال بأشياء يمكن أن يقال عنها أنها بحكم طبيعتها فيها ذلك الخير المسمى بالجمال، وأنها بمعنى من المعاني يمكن أن توصف الخلود وأنها رغم تعقدها فإن أجزائها بالضرورة مترابطة من حيث أنها جميعا أساسا في الجمال الكلي[2].

فيعتبر العمل الفني بمختلف أشكاله وقوانينه ووظائفه الحيوية يدخل في الحياة الإنسانية فهو عمل من خلق الإنسان الذي يحقق من خلاله وجوده الفعلي المحسوس عن طريق الفنون الإبداعية التي يجسدها في شكل جديد.

حيث يذكر سانتيانا مقومات الجمال الثلاثة (المادة، الصورة، التعبير) فيبين لنا انها تخدم الوظائف الإنسانية فالمادة تشير على اللذات الحسية التي تمدنا بها الحواس الإنسانية اما الصورة أو الشكل فهما لفظان مرادفان لكلمة "مرئي" أو المحسوس المرئي حيث يعتمد الجمال على فيزيولوجية الأجهزة الحسية خاصة ما يتعلق منها بالبصر والاشكال البصرية ثم يأتي العنصر الأخير وهو التعبير ويفسره سانتيانا بأنه مجموعة من التأثيرات الانفعالية التي تضفي على المضمون الجمالي لأي عمل فني دلالة وجدانية خاصة، تختلف باختلاف الذكريات والارتباطات التي تتولد في ذهن المتذوق لهذا العمل[3].

---

[1] محمد علي أبوريان، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، ص58.

[2] لويز دكنسون، فلسفة الخير، تر، رمزي حليم، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ب ط،2001. ص18.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، ص47.

إن مقومات الجمال تعتبر عناصر أساسية في بناء العمل الفني لأنها تمثل طبيعة الحياة الإنسانية وما يطرأ عليها من تغيرات فكل ما تحتويه هذه العناصر هو العمود الأساسي الذي يعتمد عليه الفنان في مصدر إلهامه وإبداعه، يقول سانتيانا " إن الجسد الإنساني آلة مصدر تماسكها عدة وظائف حيوية لولاها لانحلت هذه الآلة"[1].

لذا فإن الحالات النفسية والأفكار التي ينشرها العمل الفني تكون أول ما نلتقي به وجميعنا يتصور أن الدلالة التعبيرية موجودة في باطن العمل كما يوجد أي عنصر آخر وذلك دون أن نشعر بأننا في ذلك إنما نسقط على العمل من المعاني والأفكار التي تروق لنا أحيانا أو تكون قريبة إلينا وهكذا يبدو أن القدرة التعبيرية شيء يضيفه المتلقي على العمل[2].

نستنتج من هنا أن شتى مختلف المظاهر التي تبنى عليها الحياة الإنسانية ليست معزولة عن الأعمال الفنية التي يطرحها الفنان، فمختلف هذه الأعمال من شعر ونحت ونقش ورقص تعبر عن بيئة معينة في عصر معين بما يحمله من عادات وتقاليد وهذا ما جعل من الأعمال الفنية وسيلة تواصل تنتقل بين الحضارات والشعوب ومن جيل إلى جيل آخر.

حيث يقول سانتيانا " أنه بتقدم الفن يصبح في وسع الإنسانية أن تصطنع في نشاطها بعض الأدوات الثابتة ويسير في إمكان الإنسان التكيف مع الأشياء الخارجية مع مطالبه الداخلية أو مع قيمه الباطنية، ولا إن كان العمل الفني مجرد حلم مسجل إلا أن هذا الحلم لم يعد مجرد هبة فردية قد جاء بها الشيطان في لحظة عابرة ، بل هو استحال إلى رمز نافع في المستقبل فأصبح في استطاعته أن ينبثق أمام أعمال فنية أخرى[3].

فالفنان عندما يصدر عمل فني مثلا بيت شعري، قصيدة غنائية أو لوحة فنية فهو يعبر عن أحوال وعواطف باطنية مكبوتة في داخله ولهذا فإن العمل الفني يحدث توازن بين

[1] جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، ص98.

[2] المصدر نفسه، ص31.

[3] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص75.

ما هو داخلي وما هو خارجي ليحيا الإنسان حياة سليمة يستمتع فيها بالحرية والاتزان مما يفتح ذهنه على خلق أعمال إبداعية في شكل جديد بكل حرية.

لهذا يرى سانتيانا أن الفن هو بمثابة نظام للقلب وللخيال يعلم صاحبه ذلك العمل الشاق الذي لا بد من النهوض للوصول إلى حالة الإشباع، ألا وهو العمل الضروري لبناء الحياة وتحقيق الأعمال الناجحة[1]. ويقول أيضا "على أن مثل الفن كمثل العقل من حيث أن كل منهما إنما هو إلا مظهر لتحقيق النجاح في الحياة"[2].

[1] زكريا إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ص76.

[2] المرجع نفسه، ص61.

خاتمة

في نهاية هذا البحث توصلت إلى حوصلة من النتائج والتي تمثلت في:

1_ أن سانتيانا كسب مكانة مرموقة في الفلسفة الامريكية فهو يعد من بين أهم عمالقة الفكر الفلسفي الأمريكي خلال القرن العشرين من خلال مساهمته في مجالات فكرية عديدة عبرت عن أزمة الفلسفة المعاصرة بصفة عامة والفلسفة الامريكية بصفة خاصة ومن بين أهم الاسهامات التي قدمها كانت في مجال الفلسفة الجمالية، فحصر القيم الجمالية في (الحق، الخير، الجمال) وتناول في أول كتاب له الإحساس بالجمال طبيعة الجمال واعتبره قيمة إيجابية ورأى بأن جميع الوظائف الإنسانية تخدم الإحساس بالجمال، حيث ساعدته خلفيته الفلسفية في بناء أفكاره ، فكان الفضل لفلاسفة اليونان فهم يمثلون المصدر الأساسي الذي استقى منه فكره بالإضافة الى والده، كما لعب أستاذيه وليم جميس و جوزيا رويس دور كبير في بناء أصول فكره الأساسية وفلسفته الجمالية .

2_ حاول سانتيانا إقامة أخلاق جمالية وتعتبر هي صلب موضوع دراستنا، باعتبار أن الجمال يحمل نفس الفضائل الأخلاقية من (صدق وشرف، عدالة..... إلخ) فمزج بين الجمال والخير الأخلاقي، فالإحساس بالجمال هو خير إيجابي خالص وذلك لأن القيم الجمالية تقوم على إدراك الخير وهذا ما ينطوي عليه كل سلوك أخلاقي، حيث ركز على حرية الانسان بتخليصه من كل الشرور والعبودية ليفسح المجال للعقل أن يحقق التوازن في الحياة ويحصل على السعادة، فيتذوق الانسان حلاوة الجمال دون أي قوانين أو كبح أو قيد فالفنون في نظر سانتيانا تولدت مع الانسان بطريقة آلية تلقائية غريزية وهو الذي عمل على تطويرها، فالفن يولد مع الانسان بالفطرة وهذا ما خلق علاقة بين الفن والأخلاق من الجانب العملي للفعل الإنساني في الحياة، باعتبار أن الفن أداة يصنعها العقل البشري للاستمتاع، ثم كان لوجهة نظره الدينية فيما يتعلق بالفن و علاقته بالدين، هي أن الدين يحمل سلوكيات أخلاقية فهو ينظر إليه كنوع من الشعر يعبر عن قيم أخلاقية بدليل أن أول ظهور للفنون

كان في المعابد كالرسم والنحت وأيضا الطقوس الدينية كانت تستلزم الرقص وهذا ما ربط بين الفن والأخلاق الدينية.

3_ يبني سانتيانا العلاقة بين الجمال والأخلاق على مبدأ الترابط، لأن العلاقة بينهما وثيقة الصلة فهما كيان واحد متلاحمان وغير منفصلان فهما يصبان حول موضوع واحد وهو الانسان وبيئته، بمعنى أن الاخلاق تعبر عن سلوك الانسان من خلال أفعاله والجمال بدوره يجسد هذه السلوكيات في عمل فني، إلا أنه يميز بينهما من ناحية أنه ينظر للجمال كقيمة إيجابية وللأخلاق كقيمة سلبية، فلا بد من التمييز بينهما لأنه رأى أن المتعة الجمالية تنطوي على الجميل والقبيح بل إن الإيجابية والسلبية شرطان أساسيان في الجمال، ومن ناحية أخرى اقترن الاهتمام بالجمال بالاهتمامات العملية والأخلاقية والاجتماعية ولهذا ربط سانتيانا بين الجمال ومظاهر الحياة الانسانية الأخرى، فمن خلال الحياة العملية (الأعمال الفنية) تنقل الحضارات وثقافات الشعوب، كما أن حرية الفنان مهمة في أعماله الفنية ليقدم أعمالا فنية متميزة في شكل جديد، فالحرية أهم ما ركز عليه سانتيانا في عملية الإبداع الفني، إن القيمة الجمالية تحمل بعدا أخلاقيا ذلك لأن سانتيانا احتضن الانسان كله عقلا وإحساسا وأخلاقا وجمالا، لهذا نجد أن تركيزه ودراسته في العلاقة بين الجمال والأخلاق كان على جانب الارتباط بينهما أكثر من جانب التضاد بدليل أنه أسس للأخلاق جمالية تحتوي على كل قيم الجمال والأخلاق والتي كانت هي موضوع بحثنا.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر:

1) جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، تر، محمد مصطفى بدوي، مراجعة زكي نجيب محمود، تحرير محمد عنانى، مكتبة الأسرة، القاهرة، ب ط، 2001.
2) جورج سانتيانا، الإحساس بالجمال، تر، محمد مصطفى بدوي، مراجعة زكي نجيب محمود تقديم رمضان بسطاويسى محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ب ط،2011.

قائمة المراجع:

1) إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة جورج سانتيانا في الوجود والمعرفة، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ب ط،
2) أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال أعلامها ومذاهبها، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ب ط،1998.
3) توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط1، 1953.
4) جان برتليمى، بحث في علم الجمال، تر، أنور عبد العزيز، دار الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ب ط،2011.
5) جيروم ستولنيتز، النقد الفني دراسة جمالية، تر، فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.
6) رجائى عطية، قد تكون الديانة ترشيدا للعقل، عن جورج سانتيانا وكتابه حياة العقل، دار الهلال، القاهرة، ب ط، 2009.
7) رمضان الصباغ، الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 1998.
8) رمضان الصباغ، جماليات الفن الإطار الأخلاقي والاجتماعي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003.
9) زكريا إبراهيم فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة، ب ط، 1966.
10) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1969.

11) زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر، القاهرة، ط3، 1976.
12) زكريا فؤاد، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2004.
13) زكريا فؤاد، التعبير الموسيقي، مكتبة مصر، ط2، 1980.
14) زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق ط3، بيروت 1987.
15) زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط 4، 1993.
16) سعيد علي عبيد، فلسفة القيم عند جورج سانتيانا "دراسات جمالية وأخلاقية"، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ب ط، 2006.
17) سناء خضر، العلاقة بين الجمال والأخلاق عند جورج سانتيانا، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1 2009.
18) صلاح قنصوة، نظرية القيمة في الفكر المعاصر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ب ط 1981.
19) فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.
20) لويز دكنسون، فلسفة الخير، تر، رمزي حليم، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، ب ط 2001.
21) محمد علي أبوريان، فلسفة الجمال ونشأت الفنون الجميلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ب ط، 1989.
22) مصطفى عبده، المدخل إلى فلسفة الجمال (محاورات نقدية وتحليلية وتأصيلية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999.
23) هربرت ريد، معنى الفن، تر، سامي خشبة، مكتبة الأسرة، ب ط، 1998.
24) ول ديورانت، قصة الفلسفة من افلاطون إلى جون ديوي، تر، فتح الله محمد المشعشع مكتبة المعارف، بيروت، ط6،1988.

المعاجم والموسوعات:

1) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت باريس، ط2، 2001. المجلد الأول.
2) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ج1، 1982.
3) جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط 3 ،2006.
4) روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1981.
5) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ج1، 1984.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ..... أ

الفصل الأول

الخلفية المرجعية لجورج سانتيانا

المبحث الأول: حياته ومؤلفاته 02
المبحث الثاني: فلسفة الجمال في أمريكا (جورج سانتيانا نموذجا) 08
المبحث الثالث: أسس فلسفة جورج سانتيانا..... 12

الفصل الثاني
الأخلاق عند جورج سانتيانا

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق 16
المبحث الثاني: الأخلاق والفن 23
المبحث الثالث: الفن والدين 32

الفصل الثالث
العلاقة بين الأخلاق والجمال

المبحث الأول: القيم الأخلاقية والقيم الجمالية 39
المبحث الثاني: العمل الفني والحياة الإنسانية 48

الخاتمة 58
قائمة المصادر والمراجع 61
فهرس المحتويات 65